

عزير نيسين

كيف تمنا بالثورة

زبير

ترجمة:
أحمد إبراهيم

قصص عالمية

عزيزين

كيف قمنا بالثورة

نورثي

قصص عالية

ترجمة:
أحمد إبراهيم



منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

دمشق ١٩٩٨

Hamdan.B
24/10/08

العنوان الأصلي للكتاب:

Aziz Nesin Ihtilali Nasil Yaptik

öykü

كيف قمنا بالثورة = **Ihtilali nasil yeptik** / عزيز نيسين ؛
ترجمة : احمد الابراهيم . - دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٨ . -
٢٦٦ ص ؛ ٢٤ سم .

١ - ٨٩٤ ن ي س ك ٢ - العنوان ٣ - العنوان الموازي
٤ - نيسين ٥ - الابراهيم

مكتبة الاسد

الايداع القانوني : ع - ١٢٠/٢/١٩٩٨

تفضل الى صلاة الميت

من أغرب مراسم الجنائز التي رأيتها تلك التي حدثت في مصنعنا ،
عفواً ، إنها عادة لغوية فكلمنا تحدثنا عن مصنع شاكر بيك ، تقول
مصنعنا .

شاكر بيك إنسان عظيم ، يتمتع بمزايا مدهشة ، ولكن المسكين
لا حول له ولا قوة إذ إنه ولد في بلد متخلف . ماذا لو ولد في بلد من
بلدان أوروبا أو أمريكا ؟ هل كان سيكتفي بما هو فيه ؟ من المؤكد سيكون
الجواب بالنفي ، فلا أشك مطلقاً بأنه كان سيطوّب البلد الذي يعيش
فيه بإسمه . بل وقد يستأجر البلدان المجاورة . إن شاكر بيك من
عمالقة رجال الأعمال .

عددتنا في المصنع يفوق المائتي شخص ، ما بين موظفين ورؤساء ،
عمال ومعلمين وصنّاع . كنا نميش حياة مستقرة هائلة الى أن جاء
رجل يدعى الاسطة نوري ؛ فلم نعد نعرف للحياة المستقرة طعماً بعد
مجيء هذا المخرب .

إذ أنه ، وبعد مجيئه بأسبوع أو أسبوعين بدأ يحرض العمال
قائلًا :

— أجور العمال زهيدة جداً .

لم يحتمله الاسطة فخري ، المنعم بالإنسانية ، والذي يعمل في
مصنعنا منذ عشرين عاماً . فقال له :

— وارك يا بني ، أنت رجل لا تشبع ، إلا تستطيع اغلاق فمك
قليلاً ؟ ! من الأفضل لك أن تصمت ، الله يوفق الرجل الذي أسس

لنا معملًا وفتح لنا بذلك باب رزق نعيش منه . إننا نعمل هنا ونتقاضى بضعة قروش نعيش واولادنا بها . فإذا طردنا من هنا كيف سنعيش؟! أيهما تراه مناسباً أن نموت جوعاً أم أن نعيش ونعمل ونشكر هذا الرجل؟ كما أن شاكر بيك سيجد خمسين رجلاً بدلاً منك إذا ما طردك من هنا ، بل وسيصطفون بالطابور ليأخذوا مكانك . ولكن الأسطة نوري رجلٌ عنيد ، عندما سمع هذا الكلام صرخ قائلاً :

— ولك ... يوجد في هذا البلد شيء اسمه قانون العمل .

أقسم بالله ، لو سمعه شاكر بيك لأمسكه من قبة قميصه ورماه خارج المصنع . ولكن الأسطة نوري « زودها » كثيراً . حيث أنه بدأ عادة جديدة وصار يردد :

— نريد إضافة عمل مسائية .

وعندما كنا نوجهه قائلين :

— تعال يا رجل ... اسكت ... تأدب ...

كان كلامنا يدخل من إحدى أذنيه ليخرج من الأخرى دون أدنى فائدة .

وباختصار يا سيدي : قلب هذا المخرب معملنا الجميل رأساً على عقب . وفي نهاية الأمر سمع شاكر بيك بأحداث هذا المخرب . ولكن ما أدهشنا هو صمته حيال ذلك . ومع مرور الزمن وتعاقب الأيام ازداد كلام الأسطة نوري . وفي هذه المرة طلب قائلاً :

— يجب أن تكون وجبة طعام الغداء على حساب المعمل .

ما لا شك فيه ، إن طلبه ليس الغداء وحسب بل يهدف إلى إثارة القلاقل والتوتر في المعمل . ومن يدري إن كان لا يخطط بأن يطلب نساءً في المرة القادمة .

لم تكن نحب أن نسمع معلماً بما يتفوه به هذا المخرب المجنون .
كما أن هذا الكلام لا يشجع أحداً على نقله .

لقد أخذه خمسة مفتشين في إحدى المرات وأعادوه إلى العمل بعد استجوابه ، ولكن ما كان يدهشنا ويحيرنا هو : لماذا لم يطرده صاحب المعمل . من هنا اتضح لنا مدى طيبة قلب صاحب المعمل ، لا شك أنه فكر بأطفال هذا المخرب الذين سيموتون جوعاً إذا ما طرد والدهم من المعمل .

ولكن شخصاً كهذا لا يمكن احتمال له بأي حال من الأحوال . فهذه المرة بدأ بطلب جديد :

— أماكن العمل تعاني من سوء الشروط الصحية .

يا أخي أنا لا أشك مطلقاً بجنون هذا الرجل ، ولك يا ابن الكلب ، إذا طردت من هنا هل ستجد شروطاً أفضل في مكان آخر ؟ أم أنك ستجلس في زوايا المقاهي ثم هل هذا مكان عمل أم فندق سياحي ؟!

وعندما قلنا له « يا أسطه نوري .. لا تتكلم ... لا تشاغب ... »

وبخنا قائلاً :

— «وَأَلَيْكَ» ... يوجد قانون في هذا البلد .

— يا صديقي .. ومن ينفي وجود القوانين ... طبعاً القوانين موجودة .

لكنه كان يظن .. أنهم سنوا قوانيناً خاصة للأسطة نوري .

كل كلامنا كان يذهب ادراج الرياح ، ولكن ما لم نفهمه هو عدم استعمال شاكر بيك سلطته لطرده هذا الرجل من عمله .

إذا أخذنا ما قاله الأسطة فخرى حول هذا الموضوع بعين الاعتبار ،
فإننا سنقرر وبلا أدنى شك بأن هذا الرجل محربٌ ولكنه مع ذلك كان
خبيراً بكل شيء . ولهذا لم يكن باستطاعته صاحب العمل التخلي عن
هذه الخبرة . فقد كانت خبرته تفوق التصور والخيال . عندما كان
يعطل المقسم كان يصلحه وعندما كانت تعطل آلة الخراطة كان يصلحها
بلمح البصر . وكذلك شبكة الكهرباء ، وأعمال التسوية ، وكان هذا
الرجل ولد من بطن أمه وهو يحمل بيديه المثقب ومفك البراغي والمفاتيح .
في إحدى المرات تعطلت إحدى الآلات في المصنع ، وعرضت على معظم
المهندسين في العالم ولكنهم عجزوا عن إصلاحها . جاء الخبراء من ألمانيا
واحضروا خبراء من بلد المنشأ ولم يستطيعوا إصلاحها وبعد ذلك جاء
المخرب نوري وقال :

— أنا سأصلحها . . . وبمضضة عين أصلح الآلة وخرج علماً أنه لم
يضع أية قطعة جديدة . فتح المسننات وصب السائل على البسطون
وركب قطعة قديمة ، وفي الليل كانت الآلة العطلة تعمل بشكل ممتاز .
اعط هذا الرجل مدفأة خشب يسلمك إياها آلة نفثة لاتفرقها عن صنع
المصنع . كل هذا الكلام صحيح وجيد ولكنه يعبر عن الوجه الإيجابي
لشخصية هذا المخرب . وأما الوجه السلبي في شخصيته ! اجتمعنا
نحن الأصدقاء في إحدى المرات وقلنا :

— ألا يوجد سلطة في هذا البلد لنشتكي على هذا الرجل ؟

ذهبنا الى المدير العام وأخبرناه بكل شيء ولكن المدير مل من هذه
الشكاوي واسوء ما حدث في الأيام الأخيرة أنه أصبح مهملًا في عمله ،
والمدير العام ، من جهة ، يندب حظه . . . ومن جهة أخرى يقف بصف
الأسطة نوري ولا يطرده من عمله في هذه الأثناء وعندما كنا في استراحة
الغداء حدثت تلك الحادثة . سمعنا انفجاراً قوياً كسّر زجاج النوافذ
على أثره . فتفرقنا في كل الاتجاهات ونحن نتساءل عما يجري في

المعمل . وفجأة رأينا الدخان يتصاعد من كسارة المعمل ، وبعد ذلك حدثت انفجارات متتالية فلم يكن باستطاعتنا فعل اي شيء سوى الهرب . وبعد أن عمّ الهدوء في المعمل ، بعد فترة لم تكن قصيرة ، نظرنا الى مكان الفرن . ولكننا لم نجد فرنًا ولا كسارة ، لقد تحول كل شيء الى رماد يتطاير في الهواء . بعد ذلك ، جاء المدير وهو يهز رأسه يمنةً وشمالاً ويضرب كفاً بكف ، قال وهو يندب :

— يا إلهي ... يا إلهي ...

وكعادته عندما يمرُّ بأزمةٍ قال :

— أين الأسطة نوري ... أين الأسطة نوري .. وبعد قليل :

— أوجدوا الأسطة نوري وأحضروه الى هنا فوراً .

ثم اتجه الى غرفته .

إن باستطاعة الأسطة نوري إصلاح الفرن والكسارة خلال اسبوع واحد وإذا لم يستطع فلن يتمكن المصنع من مباشرة العمل خلال أشهر عديدة . إن الأسطة نوري ، هو الرجل الوحيد الذي باستطاعته تجهيز المعمل ، بدون كسارة أو فرن .

ولكنهم لم يجدوا الأسطة نوري ، رغم البحث المضني ، في البيت .. غير موجود ، في المقهى ... غير موجود ... غير موجود ..

قال الأسطة فخري .

— ولك هل طار قليل الشرف هذا ؟

اجابه عامل الكسارة نيازي :

– نعم ، لقد طار .

– وكيف طار ؟

– من المؤكد أنني لم أراه وهو يطير ، ولكن وبما أنه لم يبق حجر فوق حجر في القرن ، فلا شك أن الأسطة نوري قد طار . عندما تعطل القرن ناديت للأسطة نوري كي يصلحه ، ففكرت قليلاً ثم بدأ بالعمل . في البداية أرسلني لنادي الصانع كوسكو . وبعد ذلك ذهبت لأخبر المهندس بما جرى . وفي هذه الأثناء انفجر القرن . ولو أننا بقينا في القرن لطرنا نحن أيضا .

بحثنا عنه حتى المساء أمليين أن يكون قد نجا من الحادثة ولما لم نجده أخبرنا المدير بذلك :

– يا سيدي بالنسبة للأسطة نوري حياتك الدائمة .

عندما سمع الخبر ، تنفس الصعداء واستلقى على مقعده وهو في غاية السرور :

– أوههه . . . الحمد لله . صحيح أننا خسرنا الكسارة ولكننا بالمقابل ارتحنا من بلاء عظيم . على كل حال يمكن إصلاح القرن والكسارة . المهم أنني ارتحت من هذه المصيبة الكبرى .

وبعد أن أنهى كلامه ، نظر إلينا ، فاستدرك قائلاً :

– أرجو أن يبنى هذا الكلام بيننا ، لا أريد أن يسمع به أحد .

قال الأسطة فخري :

– رب ضارة نافعة يا سيدي ، إن موته شيء رائع .

قال المدير :

- أعرف بأن موته شيء رائع ، ولكنني لا أريد أن يسمع أحد
بما قتلته .

وفي اليوم التالي ، أكد المدير العام :

- أريد أن تجدوا الأسطة نوري ، سنقيم له حفل تأبين .
ببحثنا ... ومحت الشرطة أيضا ، ولكننا لم نجد أي اثر للجسد .

قال المدير :

- اوجدوا أي شيء ، ذراع أو رجل أو أي شيء آخر .
ببحثنا أسبوعاً بأكمله ، دعك من إيجاد رجل أو زراع ، لم نجد
حتى ظفراً من أظافره .

قال المدير :

- لا اعتقد أن هذا الرجل قد تحول إلى دخان وطار في الفضاء ،
لا بد أن يكون قد بقي شيء منه ، أحضروا لي أي شيء تجدونه .

قلت للأسطة فخري :

- يا أخي ، ما أعرفه عن مديرنا أنه كان يكره الأسطة نوري كرهاً
شديداً ، فلماذا إذا يريدنا أن نبحث عن شعرة من شعره ، أو ظفر
من أظافره .

قال الأسطة فخري :

الامر هنا مختلف تماما . إن شاكر بك رجل اعمال ويريد ان يقيم حفل تابين لأحد عماله . كي نشاقل الألسن هذا الخبر وليكون هذا الحفل دليلا يقدمه ضد كل من يقول إن شاكر بك لايجب عماله .

أعلن المدير العام :

— ستقدم مكافأة وقدرها مئة ليرة لكل من يجد أثرا من جسد الاسطة نوري . وعلى اثر ذلك بدء البحث الدقيق ، وماذا وجدوا في النهاية؟! إن تربيتي لا تسمح لي بذكر مثل هكذا كلمات .. لقد وحدوا . . . العضو التناسلي للأسطة نوري محصوراً بين حجرين ، ولكننا لم نستطع التأكد فيما إذا كان هذا العضو له أم لا . ولكن لمن سيكون . إنه عضو وليس منديلا وقع من جيب أحد العمال التوبة يا ربي . . لا شك أنه للأسطة كثيراً ما ترددت عبارة « وإذا لم يكن هذا العضو للأسطة نوري . . . » من يدري؟! . . . قالت زوجته : « لا أستطيع أن انظر إليه . . . قلبي لا يحتمل » . وبعد ذلك جاء طبيب البلدية والطبيب الشرعي وبعد المعاينة . أخذ الامر بالدفن كنا عدة أشخاص على دراية بهذا الموضوع ، ولذلك نادانا المدير العام وقال :

— أرجو الا يعرف أحد بهذا الأمر . ويعرف كل الناس ان الشيء الذي في التابوت هو جسد الأسطة نوري وليس شيئاً آخر . سنضع تقلا ما في التابوت كي لايشك أحد بالامر .

غسله الإمام ووضعاه في التابوت ثم جاء كل عمال المصنع إلى الجامع الذي سيدفن فيه وكم كان الجامع مزدحماً ، فقد جاء كبار رجال الأعمال . واجتمع الصحفيون والمفتشون كانت عينا المدير العام اشبه ماتكون بصنوبري مع . وبعد ان اقام الإمام صلاة الحنازة والدعاء قال :

— عيا يا جماعة . ماذا عرفتم عن المرحوم في حياته ؟

لم يستطع المدير منع نفسه ، فركع فوق التابوت وبدأ بالسكاء :

— آه يا أخي نوري ... لقد ذهبت أنت أيضاً .. ماذا سأفعل من بعدك .. آه يا نوري ولم يكفه ذلك ، بل تابع :

— افتحوا التابوت أريد أن أقبل صديقي قبله الوداع ..

ياإلهي ماذا يجري هنا؟! هل جنن مديرنا؟ ثم ماالذي يريدتقبيله؟!

— لا يمكن ذلك ..

— أبعده عن التابوت .

فقال وهو يضرب نفسه :

— إذا ، دعوني ألقى آخر نظرة عليه .

كل ما استطعت فهمه هو أن مديرنا قد نسي ، في هذا الهيجان ، الشيء الذي وضعناه في التابوت .

أخذنا التابوت إلى القبر الذي سيدفن فيه ، وبعد أن دفننا التابوت في القبر وقف المدير على تراب القبر الرطب وبدأ يتكلم وهو يبكي:

— نوري .. يا نوري .. لقد كنت سندي .. خسرتك أنت أيضاً ، لكني لن أنساك مادمت حياً ، ستعيش في قلوبنا ، لقد كنت مجداً في عملك ، كم كان رأسك طرياً ومرناً .. وتسمع الكلمة .. يا نوري .

نظرت إلى الألسنة فخري الذي كان بجانبني ، وقلت له :

— يا صديقي .. هل نسي مديرنا ما هو موجود في التابوت ؟

— وكيف ينسى ذلك ؟

– إذا ما معنى هذه الكلمات ؟ إن ما يفعله ليس عيباً وحسب ، بل
وحرماً أيضاً ان يقول الإنسان هذه الكلمات للشيء الذي في التابوت .

– يا أخي .. أنت لاتفهم مثل هذه المواقف . إن الموقف يتطلب
ذلك .

– وأنت .. لماذا تبكي ...؟

– وهل باستطاعة العين والقلب ان يحتملا سماع هذه العبارات
المؤثرة ...؟

انتهت مراسيم الجنازة . ورجعنا من المقبرة ، قال أحد العمال :

– لو أتأكد أنهم سيقومون لي مراسيم كهذه عندما أموت فلن
أسف على موتي .

– وقال آخر :

– يا أخي ، كم أحب ان أفدي مديرنا بروحي ..

– إنه يستحق ، الروح فداؤه ...

رجعنا إلى المصنع ودخلنا إلى غرفة المدير ، فخطبنا قائلاً :

– لقد تخلصنا من هذه المصيبة بأرخص ثمن ..

إن مديرنا رجل اعمال كبير وعظيم ، ولكن المسكين لاحول له ولا قوة
فقد ولد في بلد متخلف لايعرف قيمة عظمائه .

* * *

لا يوجد رجل بلا سكين

وقف رجل على باب بيتي وقال :

– أرجو ألا أكون قد سببت لك إزعاجاً ، أنا القاضي المتقاعد مخلص جراجلي من هيئة مجلس الحارة ، أعتقد بأنك سمعت برئيس المخفر الذي عُيِّن في مخفرنا حديثاً . في الحقيقة ، لقد سمعت به من خلال الأحاديث التي تدور على السنة أهل الحي ، وسمعت أيضاً عن جبروته وعن ضربه المبرِّح لكل من يراجع المخفر ، ومع ذلك فقد أحببت إظهار عدم سماعي بهذا الخبر فقلت :

– كلاً لم أسمع به .

– ياسيدي ، إنه رجل عدواني لا يتعامل إلاّ بالضرب والقتل ، لم يفسح مجالاً لأي شخص كي يحبه . في كل المخافر التي عُيِّن فيها . لذلك رفعت ضده ثماني عشرة قضية وذلك لأنه يضرب الناس ويعاملهم بقسوة ، أيعقل أن يعين رجل كهذا في مخفرنا ؟

• إن هذا الرجل يشرح لي وكأنني مدير الأمن ، تابع قائلاً :

– إننا نعيش في حارة نظيفة ، وجوارنا رائع وآمن ، فمنذ سنين لم تقع في هذه الحارة أية حادثة . ولهذا قررنا نحن أهالي هذه الحارة أن نجتمع التواقيع كي ينقل هذا المحقق من مخفرنا ، لقد ذهب بعض الأصدقاء إلى بيوت الحارات المجاورة ، وبعد ذلك سنضم التواقيع إلى بعضها ونرسلها إلى وزير الداخلية . سيصبح طول العريضة مئة متر ها هي العريضة ، إلى الآن أكون قد حصلت على سبعين توقيعاً ... أرجو أن توقّع أنت أيضاً .

– ١٧ – كيف قمنا بالثورة م-٢

والآن ، ماذا عني أن أفعل ؟ كل حجر أرميه في الماء لا شك ستصيبني آثاره ليحيا ألف مرة المفتش الذي لا يرعجني . ولكن إن لم أوقع سيتهمني أهل الحارة بالجبن . ماذا ؟ هل أنا جبار ؟ أخذت العريضة ووقعت عليها ، ولكنني لم أوقع توقيعي الأصلي بل قلدته وذلك كي أبعد الشبهة عن نفسي . لقد أصبح التوقيع كأنه لي وليس لي ، فإذا عاكستني الظروف في المستقبل ، وسألوني : « هل هذا توقيعك ؟ » . سأجيب على الفور : « كلا ليس لي » .

لندع المحقق الآن ولنحدث عن الحادثة التي وقعت في تلك الليلة :

في إحدى الأمسيات وأنا جالس أتناول طعام العشاء ، ركضت الى الشارع إثر صراخ امرأة ، نظرت أمام باب بيتي ، فرأيت شابين قطعاً طريق إحدى السيارات محاولين اختطاف امرأتين من السيارة . أيمن أن تصل الوقاحة الى هذا الحد ؟ حادثة اختطاف في وسط البلد وفي وضح النهار . عندما رأياني قادمًا نحوهما حاولا الهرب ولكني أمسكت بأحد الشابين ، لا تعتقدوا بانني أمسكت به بسبب قوتي ، لا لا . . . بل لأنه أصغر مني بكثير . حاول أن يتخلص من بين يدي كسمكة تحاول التخلص من الصنارة ولكن دون فائدة .

قالت المرأة وهي تبكي :

– لقد جرحت .

لمعت سكين بيده إثر انعكاس ضوء السيارة عليها ، فصرخت به قائلاً :

– هيا الى المخفر .

حالما صرخت به أدركت خطورة ما أقوم به ، لأن رئيس المخفر ، كما يقولون ، لا يضرب المتهم وحسب ، بل والمدعي أيضاً ، وقد لا يتوقف عند

هذا الحد ، بل يعتقل ما استطاع من المارين ، ويأخذهم الى القسم
ويسألهم : « ماذا فعلتم ضد الدولة ؟ » . ويمتقلهم بعد أن يشبههم
ضرباً . لولا هذه البراعة المجروحة التي ينزف الدم من كفها ، لصفعت
هذا الرجل كفين وتركته يذهب لحال سبيله ، ولكن لا حول لي ولا قوة .

ذهبنا جميعنا الى المخفر ، وقفنا أمام رئيس المخفر الذي أستطيع
تلخيص منظره بكلمة واحدة : « مربع » ، لا يوجد لديه رقبة بل عبارة
عن رأس موضوع فوق جسم ضخم .

بعد أن شرحت له الحادثة ، التفت الى المتهم وسأله :

— ما ذا حدث ؟!

— لا شيء ياسيدي ، بينما أمشي في حال سبيلي في الشارع أمسك
بي هذا الرجل وقادني الى هنا .

كان واضحاً من لهجة هذا الشاب أنه كارا دنيزلي(١) .

قال المفتش :

— لا تطيل الحديث، هيا أخرج السكين .

— أية سكين ؟! أنا لا املك سكيناً ، أستغفر الله ، أنا لا احمل

سكيناً .

فتشمه الشرطي ولكنه لم يجد سكيناً ، بل وجد غمداً موجوداً في
نطاقه . أخذ المحقق الغمد وسأله :

— ما هذا ؟

١ - كارادنيزلي : لقب يطلق على سكان المدن الواقعة على ساحل البحر الاسود وهذه
الكلمة مؤلفة من مقطعين : كارا (اسود) + دنيز (بحر) .

لم يعرفه الكارادنيزلي اي انتباه ، بل اجاب ببرود :

— إنه غمد يا سيدي .

— لكنك قلت أنك لا تحمل سكيناً .

— فعلاً ، أنا لا أحمل سكيناً ، ولا استعملها .

بدأ غضب المحقق يزداد شيئاً فشيئاً .

— ولك ما هذا ؟!

— إنه غمد يا سيدي .

— اسمعني جيداً ولا تخرجني عن طوري ، وإلا ستندم ، أسألك :

ما هذا ؟

— إنه غمد يا سيدي ، أسأل من تريد ، إن كنت لا تصدقني ، لن

أخفي ، ما يعرفه الله ، عن عبيده ، أقسم بالله أنه غمد .

حقيقة ، ندمت كثيراً لأنني أحضرت هذا الشاب الى هنا ، لا شك

بان المحقق لن يخرج من هنا سليماً معافى .

— ولك ، أينحمل الغمد بلا سكين ؟!

— نعم ، يحمل .

— لا يحمل .

— أنا أحمله ، لا دخل لأحد بهذا ، أهو ممنوع . ؟!

احمرت عينا المحقق وصارت يداه ترتجفان ، الحقيقة تقال ، إنه

رجل صبور للغاية .

– حسناً ، أين السكين التي كانت داخل هذا الغمد ؟

– أقول لك ، لا أملك سكيناً ، ألا تفهمني ؟!

– التوبة يا ربي ، يا أخي لا تجننني ، ماذا تضع داخل الغمد ؟

– لا أضع شيئاً ، أتركه فارغاً .

بدأ المحقق بقضم أظافر يده اليمنى من شدة غضبه ، وضرب باليد اليسرى على الطاولة بقوة ، وصرخ فجأة :

– حسناً ، لا يباع الغمد فارغاً ، قل لي من أين حصلت على هذا

الغمد ؟

قال الكارادينزلي :

– لا .. لم أشتريه .

– إذا ، فقد سرقته .

– ألم أسرقه .

استحوذ الغضب على المحقق ، فصرخ :

– تكلم تكلم

– إنه هدية يا سيدي ، لقد أهداني إياه أحد الأصدقاء .

– ما اسم صديقك هذا ؟

– اسمه حسن ، قال لي : « لبيق ذكرى معك ، تذكرني كلما نظرت

إليه . » .

قال المحقق للشرطة :

- ارموه في القبو .

أخذوا الكارادينزلي ، لقد أعجبت بهد الصبر الذي يتحلى به المحقق الذي يتحدثون عن جبروته وعن ظلمه ، لو أن الذي يحقق مع هذا الرجل حجر لتحطم .

بعد ذلك تناولنا اطراف الحديث أنا والمحقق ، قال :

- كيف ستعامل مع هذا الرجل إن لم تضربه ، قولوا لي بحق الله ، كيف يعامل شخص كهذا، طعن المرأة ، ويحمل غمداً، ولكن كيف سأقدمه الى المحكمة إن لم أجد السكين .

لقد عرفت الكثير عنه من خلال حديثه ، رفع ضده الى الآن ثماني عشر قضية نتيجة الجوءه الى الضرب اثناء التحقيقات التي لم يفلح محضر أي منها ضد مجهول .

أجرى دورة في امريكا ونال عدة جوائز وأوسمة . ولهذا لم تشأ السلطة معاقبته فاستدعاه مدير الأمن وقال له : «اعتباراً من هذا اليوم، لا أريدك أن تضرب أحداً من المواطنين . إن أفضل ما يمكن أن أقدمه لك الآن هو تعيينك في أحد المخافر ، ولكن إذا أنت أي شكوى ضدك من المواطنين فلن أنقذك ، بل سأقدم كل الأدلة التي املكها ضدك للمحكمة » .

قال المحقق :

- لولا هذا الانذار ، لكان باستطاعتي أن أجعله يتكلم مثل البيغاء . ولكن أخ أخ أخ ... ما باليد حيلة . لقمة العيش من جهة ومهنتي من جهة ثانية والأولاد ...

كانت الشرطة تبحث عن صديق المتهم أثناء حديث المحقق ، وفي النهاية وجدوه في الميناء وتم إحضاره الى مكتب المحقق .

أدار المحقق وجه القادم الجديد نحو الجدار وقال له :

- قف هكذا ، ولا تلتفت الى الوراء .

ويعد ذلك أمر بإحضار المتهم وأدار رأسه نحو الجدار ، سأل المحقق القادم الجديد :

- هل قدمت لصديقك هذا أريّة هدية ؟ .

قال المتهم قبل أن ينتظر جواب صديقه :

- نعم .

- احرص أنت . ثم وجه كلامه لحسن ...

- هل قدمت له هدية ؟

- ربما اكون قد قدمت له هدية ، لا أذكر الآن .

صاح المتهم :

- ولك يا حسن ألم تعطني الغمد؟!!

- احرص ولك / أظهر الغمد لحسن / هل أعطيته هذا؟

- لا يا سيدي ، لم أعطه .

بدأا بالجدال ، وكل منهما رأسه متجه نحو الجدار الذي أمامه .

– ولك يا حسن ، انت أعطيتني إياه يا أخي ، أنا داخل عليك ...
الم تعطني الغمد؟!

قل ، إنني أحلفك بدينك ... وبإيمانك .. أنت أعطيتني الغمد
اليس كذلك؟

– لم اعطك شيئاً .

– أنت لا تتذكر يا أخي ... لقد نسيت اليس كذلك ؟ هذا هو
حال الالسان لقد أعطيتني الغمد ولكنك نسيت .

– يا أخي ومتى أعطيتك إياه ؟

– أعطيتني ، اعطيتني يا أخي ، انت أعطيتني الغمد عندما التقينا
في الشارع قلت لي : خذ هذا كي تتذكرني كلما رأيته ، إنني متأكد ...
هذه إفادتنا .

في هذه المرة ، انزل المحقق المتهم الى القبو ، كنا موجودين ، ثلاثة
شرطة والحارس وأنا . قال المحقق :

– ضعوه في الدولاب / الفلقة / .

وضعوا المتهم وربطوا رجله بالحبل ، ركع المحقق أمامه وصار
بتوسل إليه :

– يا بني ... يا ولدي .. يا حبيبي ، قل لي الحقيقة ، أين
النسكين ؟ أين رميتها .؟ أقسمت يميناَ للمدير العام على ألاّ أضرب
أحدًا . لقد أقسمت يميناَ .. هيا يا بني .

– أنا لا استعمل النسكين . استعمل الغمد فقط ، هذه هي إفادتي .

– لا تعاند يا بني .. سأضربك .

– اقتلني إن شئت . لا يوجد معي سكين ، استعمل الفم فقط ،
هذه هي إفادتي .

وبدأوا بالضرب .. اضرِب .. اضرِب .. اضرِب .. اضرِب .. رجل بحجم
الدجاجة ولا يزن أكثر من خمسين كيلو عراماً ومع ذلك لم يفتح فمه
ولم يصرخ ، لا أستطيع وصف تلك الضربات التي كانت تنزل على
جسده . أوقف المحقق الضرب وبدأ يتوسل من جديد :

– يا أخي .. اشفق على نفسك ، أقسم بالله أنا لا أريد أن أضربك ،
فقط قل لي أين رميت السكين ؟ .

لا يقول ... ويعود الضرب من جديد ، لم أحتمل أنا أيضاً فبدات
أتوسل إليه :

– أنا رأيت السكين بيدك ، وسأكون شاهداً في المحكمة ... هيا
قل يا أخي .

– لم تكن سكيناً بل غمداً .

ظهرت خطوط حمراء على رجليه الحافيتين من كثرة الضرب عليهما
بالعصا ، طلبوا منه أن يمشي ، ثم أن يركض وذلك كي تختفي آثار الضرب
كي لا يذهب إلى الطبيب ويأخذ منه تقريراً طبياً . ومن جديد القوه
على الأرض وبدأوا بالضرب .

لو انهالت هذه العصي على ثلاثين رجلاً لاغتمتهم ، وهذا الصغير
ما زال يردد « غمد ، غمد » ولم يقل أي شيء آخر . الشرطة تتوسل ،
أنا أتوسل والمحقق يتوسل ، حقيقةً بدأنا نشفق عليه . وصل المحقق
إلى ذروة غضبه فقال : أوقفوه على رجليه . وانهال على وجهه هذه
المرّة وكلمة نال لكمة كان يقول :

– الذي كان معي غمداً وليس سكيناً ... هذه افادتي .

والمحقق يقول :

– ولك حتى لو كان الغمد فارغا يعترف الانسان بوجود
السكين كي يتخلص من الضرب .
– إنه غمد يا سيدي .

صار المحقق ذو الوجه الخشن يبكي ودموعه تسيل على خديه وهو
يقول :

– يا بني ، إن كنت لا تشفق على نفسك اشفق عليّ ، اشفق على
أولادي نحن نعرف أنك طعنت المرأة ، اعترف بهذه الحقيقة ، أقسم
أنهم سيسرحوني من وظيفتي بسببك سيتدمر مستقبلي . . .

وقعت بحيرة من أمري ، على أيّ منهما سأشفق ، على هذا المحقق
أم على الكارادانيزلي . . . المفتش يبكي بقسوة .

نظر الرجل الصغير . . . الفصير . . . الكارادانيزلي الضعيف ، الى
المحقق وقال :

– ما كنت سأعترف حتى لو موّتني من الضرب ، غير أنني أشفقت
عليك يا سيدي المحقق ، أشفقت على أولادك وعلى مستقبلك ولهذا
سأعترف ، كان يوجد سكين داخل الغمد ، أنا أستعمل الغمد والسكين
أيضاً . وهل تعتقد بوجود رجل في هذا العالم بلا سكين ؟ لقد رميت
سكيني عندما كان هذا الرجل يقودني الى هنا . لقد تكلمت لأنني أشفقت
عليك يا سيدي .

وبعد ذلك ذهب مع اثنين من الشرطة وأحضروا السكين ، لم يعد
باستطاعة الكارا ديزلي المني أو الوقوف على رجليه فسقط بجانب
الجدار وهو يقول :

– اكتبوا إفادتي . . ايعفل أن يقال للرجل رجلاً إذا كان لا يملك
سكيناً . أ يوجد رجل بلا سكين ، طبعاً يوجد معي سكين .

تعليمات حول حمل الأشخاص على الأكتاف

أحياناً يترك لنا سلمي البريد بين الرسائل والصحف والمجلات المرسلة إلينا بعض الرسائل المرسلة الى أشخاص آخرين ، وفي اليوم التالي أسلمها إليه .

أما بالنسبة للرسالة التي سأحدثكم عنها والتي سلمنا إياها سلمي البريد بالخطأ ، فقد مزّقتُ غلافها قبل أن أقرأ العنوان وقرأت محتواها ولسبب ما ، أدركت أنها ليست لي ، فقرأت العنوان على الغلاف حيث كان خاتم حزب العدالة عليه .

كانت هذه الرسالة عبارة عن تعميم أرسل الى منظمات المناطق .

أنا أوّمن بأنه ليس من اللائق قراءة الرسائل المبعوثة للآخرين ، ولكنني وجدت أن هذه المعلومات القيّمة المطبوعة في التعميم تهم كل المواطنين فلم أشأ حرمان المواطنين من هذه المعلومات ولهذا قررت نشر هذا التعميم على القراء الأعزاء لعلهم يستفيدون منه :

حزب العدالة .

القيادة العامة .

العدد : ١٩٩٠٠١

٤ شباط ١٩٦٥

الى رئاسة منطقتي تم قراءة ودراسة الشكاوى التي أتت من تشكيلات بعض المدن والمناطق ، وتم أخذ بعض التوصيات في اجتماع الحزب الذي عقد في يوم

تجمع هذه الشكاوى حول بعض السلبيات التي تحدث في مؤتمرات المدن والمناطق وحتى في المؤتمر العام للحزب ، حيث يُحمل بعض المندوبين والنواب على الاكتاف ، فعلى سبيل المثال لا الحصر : وضع أحد أعضاء الحزب المتحمسين رأسه بين رجلي أحد نواب مجلس الشعب المسنين ورفعه فوق كتفيه مما سبب حدوث أزمة قلبية للنائب المعجور بسبب الخوف الذي ألمَّ به .

أيضاً هناك شكوى حول حادثة وقعت في إحدى المؤتمرات حيث تقدم أحد الحزبيين المتحمسين من أحد النواب وأدخل رأسه بين رجليه ورفعه على كتفيه مما أدى بالنائب الى فقدان توازنه ووقوعه أرضاً . طبعاً من المخجل وقوع أحد النواب على الأرض نتيجة فقدان توازنه مما يؤدي الى افساد الطابع الجدي للمؤتمر ولهذا فإن حزبنا يستنكر مثل هذه الحركات .

ومما يفسد الطابع الجدي للمؤتمر أيضاً ، قول أحد النواب الذين يتدغدغون من جراء ملامسة أجسادهم لأحد الحزبيين المتحمسين الذين يحاولون وضع رأسهم بين أرجل النائب : « أتركني ولك ... »

ولهذا يجب على الحزبيين المتحمسين أخذ عامل الدغدغة التي يعاني منها بعض الأشخاص بعين الاعتبار قبل ان يحاولوا رفع النواب على اكتافهم .

كما أنه من غير المستحب حمل بعض النساء اللاتيات في المجلس أو النساء المندوبات الموجودات في حزبنا . فكما نعتقد أن منظر المرأة وهي تقف على اكتاف أحد الرجال أو تجلس على كتفيه وقد برز رأسه من بين رجليها منظر غير لائق .

فيجب على الحزبيين الذين يريدون حمل النساء أخذ كل هذه الأمور بعين الاعتبار . كما أثبتت التحقيقات التي قمنا بها أن هناك أشخاصاً من أحزاب يسارية يتسللون الى مؤتمرنا بقصد إفساد الطابع الجدي للنقاشات كما تبين لنا أن الرجل الذي وضع رأسه بين فخذي إحدى المندوبات ورفعها على كتفيه رغم قولها له « لا . . . لا تفعل أرجوك » كان رجلاً يسارياً قد تسلل الى مؤتمر حزبنا بقصد التخريب .

كما تبين لنا أن هناك بعض المخربين الذين يتظاهرون بعضويتهم في حزبنا ويقومون بحمل النواب على أكتافهم ويدغدغونهم من الأسفل .

لذلك رأينا أن هذه الأسباب هي التي تعطي جواً من التوتر والكهربية للاجتماعات أثناء مناقشة بعض قضايا الوطن المهمة مما يؤدي الى حدوث ضحك وقهقهة عند النواب . في كل هذه الحالات تقع حوادث مؤسفة جداً .

بداية نقول : في إحدى المؤتمرات وبالرغم من ممانعة أحد النواب فقد حمل على الأكتاف وكان نتيجة ذلك حدوث فتاق عند السيد النائب .

لقد تحدثنا عن بعض الحالات فقط لأننا وجدنا أنه من غير اللائق الحديث عن حالات أخرى كثيرة . ولذلك اجتمعت القيادة العامة للحزب وتوصلت الى بعض التوصيات بهذا الشأن ، فقد ارتأى بعض الأعضاء منع حالات رفع النواب على الأكتاف غير أن التحقيقات والدراسات التي اجرتها القيادة العامة أكدت على أن رفع النواب على الأكتاف يعبر عن نوع من الديمقراطية التي نحن حريصون جداً على سلامتها . ولهذا قررت القيادة العامة باستمرار حمل النواب على الأكتاف واعتبرته حقاً من حقوق أعضاء الحزب ولكنها وضعت بعض التدابير اللازمة لذلك فوجزها فيما يلي :

١ - يجب أخذ موافقة الشخص الذي سيرفع على الاكتاف قبل القيام بحمله منعاً لوقوع الحوادث .

٢ - يجب أن يسجل اسم الحامل والمحمول قبل عمية الحمل ، لأنه إذا قام أحد الحزبيين قصار القامة برفع أحد النواب طوال القامة فإن ذلك سيؤدي الى ملامسة أرجل النائب الأرض وهذا منظر غير لائق، والعكس صحيح ، أي أن يحمل أحد الحزبيين طويلي القامة نائباً قصير القامة يؤدي ذلك الى ظهور النائب بمنظر مضحك ، كقراءة فوق عمود مرتفع .

ولهذا يجب أخذ نسب الطول والعرض بين الحامل والمحمول بعين الاعتبار ، إذ أن عدم وجود التناسب بين الأجسام يؤدي الى وقوع حوادث مؤسفة .

ومنها محاولة حزبي متحمس نحيل لحمل نائب بدين على كتفيه فما أن وضع رأسه بين رجليه حتى انقطعت أنفاسه وأغمي عليه .

٣ - يجب أن يتم تسجيل الشخص الذي سيحمل وبجانب اسمه يسجل اسم الشخص الذي سيحمل ، فقد حدثت حوادث مؤسفة نتيجة هجوم عدة أشخاص متحمسين على نائب واحد يريدون حمله مما أدى الى حدوث ازدحام وسقوط وإغماء بعض الأشخاص .

٤ - لقد أثبتت التجارب أن هناك بعض الأشخاص الذين يعانون من أمراض معينة كالفتاق مثلاً ، وهناك البعض الآخر من النواب المسنين الذين لا يحتملون الجلوس فوق الاكتاف ، فإذا ما أجبر هؤلاء النواب على جلوسهم فوق الاكتاف قد يؤدي ذلك الى وقوع حوادث مؤسفة جداً .

٥ - يجب أخذ موافقة الأشخاص الذين يتأثرون بالدغدغة ، كما نوصي النواب الذين سيرفعون بلف أقدامهم بقطعة قماش سميكة جداً منعاً لحدوث الدغدغة .

٦ - منعاً للفوضى ، كأن يدسّ أحد الأعضاء التحمسين رأسه بشكل مفاجيء بين رجلي أحد النواب ليضعه فوق كتفيه ، ارتأينا وضع برنامج يبيّن أن ، ومن ، ومتى ، وأين سيتم الرفع على الكتفين وخوفاً من فقدان توازن بعض النواب المحمولين مما يؤدي الى وقوع النائب ارضاً يوضع عدة اشخاص حوله من اليمين واليسار والامام والخلف .

٧ - أما بالنسبة للشخص الذي سيحمل على الاكتاف فيجب أن يبعد بين ساقيه ، وتعتبر هذه الوقفة إشارة للذي خلفه معناها أنه مستعد لأن يُحمل ، وينتظر بعد ذلك وهو على هذه الحالة .

إن التجارب التي أجريت بهذا الخصوص اعطت نتائج مرضية لأنه عندما يجد الشخص الذي في الخلف النائب الذي أمامه مبعداً بين ساقيه ، سيدخل رأسه بينهما دون إضاعة للوقت ويرفعه فوق كتفيه ، وهناك نقطة هامة يجب الوقوف عندما ، وهي : انه على الشخص الذي في الخلف الا يضع الوقت كثيراً ويترك النائب الذي أمامه مبعداً بين ساقيه لمدة طويلة لأن هذه الوقفة تعطي مجالاً للأعضاء الذين في الخلف لأن يفسروا هذه الوقفة تفسيراً خاطئاً .

٨ - يجب أن نلفت الانتباه - ونحن نقدم هذه التوصيات - الى نقطة هامة ، وهي أنه من المناسب جداً إجراء بروفات وتدريبات وذلك قبل المؤتمر بوقت مناسب ، ينصح بإجراء التدريبات على الحمل بين كل شخصين متناسبين في غرفة كبيرة أو في صالون كبير .

٩ - لا يُجد حزينا أية ضرورة لرفع النساء فوق الاكتاف ، أما إذا أرادت النساء ذلك ، فإننا نوصي بأخذ التدابير اللازمة بخصوص

اشباب الداخلية والكيلوتات ، وعلى العموم فلسنا مسؤولين عن الأضرار التي قد تحدث .

أخذ قرار بضرورة وصول هذا التعميم الى كل أعضاء الحزب من القيادة العامة وحتى أعضاء أسفل الهرم الحزبي .

التوقيع :

صاحب البناية والخان
ابنكم أحمد نورمان

التوقيع :

الشاهد والغازي
المعروف نياري

التوقيع :

عاشق الملكية الخاصة التي أساسها الغش
حضر أوغلو صتلمش

★ ★ ★

لولا مستقبلي

سيدي العزيز ...

هأنذا أعرض عليك سيرتي الذاتية كتابة ، ماذا تفضلت ...؟
أتريدها مفصلة ...؟ على رأسي ياسيدي سأعرضها بالتفصيل ، كيف...؟
فهمت .. تريد أدق التفاصيل ، ابتداء من اصفر الامور ...
نعم نعم ... فهمت ، لن أكتب سيرة ذاتية وحسب ، بل سأكتب
مذكرات ... على رأسي ، على رأسي ، لن أخفي شيء .. طبعاً .. دون
أدنى شك ، حتى أدق الامور سرية .. نعم .. نعم .. وبالتفصيل ..
على رأسي ياسيدي على رأسي .

ولدت في بلدة « كئالي جه » ... اليس الى هذا الحد؟! .. كما
تريد يا سيدي .. على رأسي ، سأبدأ بأحداث أقرب ، .. نعم فهمت ..
تريد الحوادث المهمة في حياتي يا سيد ... ها .. ؟

إن أول حادثة مهمة في حياتي هي المشاجرة التي وقعت بيني وبين
زملائي عندما كنت طالباً في مدرسة « نومونا الترقى » / مثال الترقى /

بما أنك تريد الحوادث الصحيحة ، فهأنذا أكتب لك ... لقد
بدأ هذا الشجار بالضرب المبرح الذي تعرضت له من احمد القزم ،
لا : لا ... ما كنت ساكل تلك القنينة من القزم احمد لولا وجود المعلم
المناوب ، فليحمد الله وليدع للمعلم ... ذاك الولد الذي أسميناه القزم
لصغر قامته . كان ذلك منذ حوالي . لحظة كي أتذكر .. أه .. نعم نعم
... منذ ستين عاماً كنت جالساً على مقعدي أراجع بعض الدروس ،
حين نظمت كفاً على رقبتي ، الى الآن أتذكره ، وكأنه حدث اليوم ،
يومئذ أحسست بأن الشرر يتطاير من عيني وقبل ان افتح فمي قال :
« لماذا تضربني ولك ؟ » التفت الى الخلف فرأيت احمد القزم ، قال

هذه العبارة وأردفها بكلمة على وجهي ... آه يا سيدي .. : لست أدري كيف لقرم كهذا أن يخرج لكلمة كهذه . قلت : ومن الذي يضرب ؟ فقال « أنت تضربني » ونبع كلماته بكلمة أخرى . سار طلاب الصف بفهمهم ، وعندما قلت له أصبح على نفسك يا أخي . أنا لم أضربك . لكنني لكلمة على أنفي . عفواً فوقفت على مؤخرتي .

بدأ الدم يسيل من أنفي . وعندما قلت له : يا أحمد لا تضرب ساشمك المعلم . بدأ يكيل لي اللكمات بينما بقية الأصدقاء يضحكون ... فقلت : قولوا أنته أيها الأصدقاء . هل أنا من يضربه ؟ فبدأ باللكمات والكفوف على رأسي وعلى وجهي وهو يقول : « أنت من تضربني » .

يا سيدي وأنا أيضاً كنت أستطيع أن أضربه لولا وجود الأستاذ خالد بك .. لولا خالد بك لأخرجت أمعاءه .. آه ولكن ما باليد حيلة . فالأستاذ موجود ، أقسم بالله كنت أستطيع أن أدوس هذا القرم برجلي لو لم يكن الأستاذ موجوداً . والله لولا وجود المعلم لقتلته .

عندما أدركت أن هذه الحادثة لن تنتهي على خير ، هربت من الصف إلى الحديقة ، وبذلك انقذت نفسي من يدي القرم أحمد . آه لولا وجود المعلم خالد بك ... آه .. لكنت قتلته .

أما الحادثة الثانية والمهمة في حياتي يا سيدي ، فقد وقعت عندما كنت العب وأصدقائي في ملعب الحارة . اعتقد أن عمري وقتئذ كان حوالي السادسة عشر ، كانت لعبة كرة القدم قد دخلت إلى استانبول حديثاً ، ضربت الكرة برجلي إلى مرمى الخصم ، كان يلعب معنا صبيٌ ناديه حقي العجل . قال لي . عفواً أنا أخجل من لفظ هذه الكلمات - قال لي « أيها الحقيير » فقلت له .. « أنت » عندئذ قفز عليّ وراح يضربني ...

يا سيدي . نحن تربيانا تربية عائلية راقية . ولهذا لم أستطع ضربه . سار يضرب ويضرب حتى أصبح وجهي مثل سوق الأربعاء ، كان

باستطاعتي أن أريه نجوم الظهر ولكن تربيتي لا تسمح بذلك أقسم بالله
أنه كان باستطاعتي تمزيقه إرباً إرباً لولا تربيتي الرائعة، من...؟! أنا..؟
كنت سأكله ، لولا تربيتي العائلية الراقية .

من الحوادث التي أستطيع تذكرها أيضاً تلك التي حدثت عندما
كنت في العشرين من عمري ، كنت في زمن المراهقة . كنا نلعب الترد
في المقهى ، نسيت الآن اسم الذي كان يلعب معي ، نجاة حمل الطاولة
وضربني بها على رأسي ، أحسست بالنجوم تتطاير أمام عيني ، ذهشت
لما يحدث يا سيدي ... كنت سأضربه ، نعم سأضربه ... لولا وجود
والدي ، وأنا أحترم والدي جداً فليحمد الله وليدع نوالدي ، لولا ذلك
لاكلته لقمة لقمة ... آاه لولا وجود والدي .

لم افتح فمي خوفاً من وصول صوتي الى أذني والدي ، بعد ذلك
ذهبت الى الصيدلية وضمدت رأسي . بعد ذلك يا سيدي، في يوم ربيعيّ،
لن أنساه أبداً، كنت في عهد الشباب وتعرف ذلك العهد وغرامياته ، كانت
تربطني في ذلك الوقت علاقة عاطفية مع إحدى الفتيات ، وكنت على وشك
أن أطلبها للزواج من أهلها ، وفي إحدى الأمسيات ونحن نتمشى في الريف
هجم علينا رجلٌ من بين الأشجار ، أمسك يد الفتاة محاولاً اختطافها ،
ما رأيك يا سيدي ، هل أسمح له بها؟! لو رأيته لأدرت أنني أستطيع
وبنفخة واحدة من فمي رميه أرضاً ، وبدأ الشجار بيننا غير أنني كنت
البس معطفاً ثقيلاً جداً منعني من ضربه ، آخ لولا وجود ذلك المعطف ،
اكنت سأريه ماذا سأفعل به ، لكن ما باليد حيلة ، فالمعطف موجود ، ..
لتبلى عينا المعطف بالعماء ، أخذ الرجل الفتاة من بين يديّ قسراً وغابا
بين الأشجار ، والفتاة صارت تصرخ بدون أدنى خجل وتقول لي : تفوه
عليك ، ... أي رجل أنت ؟ وكأنها لا ترى المعطف الذي ألبسه ، ولا
تدرك مدى ثقله فقلت لها : لولا وجود المعطف ... ولكن ما باليد حيلة .

وبعد ذلك يا سيدي ، تعافيت الأيام ، تزوجت وتوفي والدي ، أمد
الله بعمرك ، كنا نسكن في بيت واحد ، أمي في الطابق الأرضي ، وأنا
وزوجتي في الطابق الثاني لم يمض من عمر زواجنا سوى شهرين عندما

هجمت عليّ زوجتي والسبب لا أعرفه وبدات بقذف أي شيء تصادفه في طريقها على جسدي . وعندما لم يبق أي شيء أمامها ففرت عالىّ كالديك ، وصارت تخمّسني وتعضني . وأنا أفسم لك يا سيدي ، باستطاعتي رميها أرضاً فقط لو وضعت يدي عليها دون أن أضربها ولكن فكرت . ماذا لو سمعت أمي ؟ آه لولا وجود أمي لضربتها ضرباً مبرحاً . . . آه لولا وجود أمي الذي منعني من فتح فمي أو التطقن بأية كلمة ، المهم بعد شهر من العلاج تم الطلاق بيننا .

وعلى هذا المنوال دخلت عامي الثلاثين . . . الخامس والثلاثين . في منتصف إحدى الليالي استيقظت من نومي وفتحت من السرير على صوت ضجيج في البيت ، وإذ بلص دخل بيتي وراح يفتش الخزانة ، أقول لك الصدق يا سيدي ، لو علمت أنه لص لتظاهرت بالنوم ، ولكني ففرت بحركة لا إرادية وعندما رأي اللص هجم عليّ ، يا له من لص وقح يسرق البيت ويهجم على صاحبه . ماذا كنت ستفعل لو كنت مكاني ؟ ستضربه . حسن . أنا أيضاً فكرت بذلك ، ولكن لو مات بيدي ماذا سأفعل ؟ هل يسامحتني القانون ؟! آه لولا وجود القانون . وضع اللص الحاف على رأسي وكلما صرحت « النجدة » كان يزيد الضغط على رأسي وأخيراً لم يبق أمامي سوى التظاهر بالاختناق فأخذ الرجل كل محتويات البيت وذهب . ليدع هذا الرجل للقانون الذي اتقده من بين يدي ، لولا القانون لو وضعته تحت رجلي ولا ادعه حتى يصبح جثة هامدة .

بعد ذلك تزوجت من امرأة ثانية ، وفي يوم من الأيام كنت ذاهباً الى انقرة لقضاء بعض الأعمال ولكنني لم ألق بالقطار فعدت الى البيت ، دخلت بهدوء على رؤوس أصابعي كيلا أوقظ زوجتي من نومها . دخلت سرقة النوم . لقد طلبت مني الا أخفي سراً - نظرت الى السرير فرايت حركات غريبة ، وباليتهاتقضت بالحركات فقط بل وبالألفاظ التي أخجل من التفوه بها أمامك « يا روحي ، يا قلبي يا حبيبي ، يا حياتي . . » لقد غلي الدم في عروقي . إنه الشرف يا سيدي . الشرف الذي لا يشبهه أي شيء آخر . مباشرة سانسحب مسدسي و . « دان دان دان » سأقتل

الاثنين ، سدس؟! يا سيدي أنا لا أحمل مسدساً ، ... ليكن ،
الإنسان يعيش من أجل شرفه «دان دان» سأقتل الاثنين ... ولكن تعال
وفي وقت كهذا ... في منتصف الليل ، ماذا بإمكانك أن تفعل ؟
سيستيقظ الجيران ويتساءلون عما يحدث ، آه لولا وجود الجيران ،
لأرسلت الاثنين إلى جنة الحمير ...

ولكن الجيران موجودون ، ليحمدا الله وليدعيا للجيران ... المهم
تابعت طريقي على رؤوس أصابعي وخرجت من البيت .

نعم اعتقادك بمكانه ، كنت سأطلقها ، ولكنني ما إن نويت ذلك حتى
جاءنا ولد وتبعه آخر وهكذا . . .

رحلنا إلى بيتنا الصيفي ... وفي إحدى الأمسيات دخلت بيتي ،
كانت زوجتي ، عفواً ، بوضع غير لائق ... نعم أمي الآن غير موجودة ،
ولا يوجد جيران حولنا ، ولكن ... آه يا سيدي يوجد أطفال .. آه لولا
وجود الأطفال ... عندما رأني الرجل ظن أنني سأقتله فهجم عليّ وهو
عاري فقلت له : « يا أخي البس ثيابك أولاً ثم تعال ... » ولكنه لا يفهم
هجم عليّ .. آه لو لم يكن عارياً ... ولولا خوفي من ملامسة شيء من
هنا أو شيء من هناك بأصابعي ، ولكن الرجل يضربني ، لولا زوجتي
ولولا وجود الأطفال لكنت سأعرف ماذا سأفعل به ، ماذا سأفعل ؟!
سأطلقها طبعاً ، ولكن آه ... طأطأت رأسي خوفاً على الأولاد . أمضينا
أسبوعاً ، وبعد ذلك خرجنا قسراً ، آه ليحمدا الله وليدعيا لهؤلاء
الأولاد فلولاهم لقتلت الاثنين .

وقعت حادثة مهمة أيضاً في الدائرة ، فلم يبق صنف من العذاب
لم أذقه من المدير العام ، حتى وصل به الأمر لدرجة أن يحقرني ويشتمني
أمام الموظفين . لقد أصبح وضعي لا يحتمل ، في الحقيقة نويت أن أقدم
شكوى ضد المدير العام ، ولكنني أخاف من الله ... فقد يحرم من عمله
ومن لقمة عيشه .. آه لولا خوفي من الله ، وفي يوم من الأيام بصق في
وجهي قائلاً « تفوهه » .

ماذا باستطاعتي ان افعل ؟! .. يوجد بيننا حاجز واحترام .

لقد ذقت العذاب على يدي هذا المدير لدرجة انني نويت قتله خنقا . نعم كنت ساقطه ... ولكن ماذا لو قدموا ضدي شكوى . من المؤكد سيطرردوني عن العمل . يوجد في بيتي اطفال يتوجب علي تلبية احتياجاتهم ... اه يا سيدي لولا وجود الاطفال لما وقفت صامتا امام هذا المدير الظالم .

في احد الايام جاءت امرأة من المراجعين وبجانبها طفل في الخامسة من عمره . لسبب من الاسباب رمتني المرأة بدواة الحبر ... ولكنهما انسان وانا واحد آه .. لو لم يكونا اثنين لعرفت ماذا سافعل بهما .. آه لو لم تكن امرأة ...

على كل حال ... تقاعدت من العمل والحمد لله ...

جاءني في احد الايام المستاجر وضربني بالحذاء على رأسي مع العلم انني لم اعرف سببا لتصرفه هذا . انظر لم يزل اثر الحذاء واضحا على جبهتي ... ماذا سافعل الآن وقد تقدمت بالعمر الى هذا الحد .. ماذا او وقعت هذه الحادثة في ايام الشباب لعلمته كيف يضرب الناس . تسألني عن عمري .. يا سيدي انا في الثالثة والسبعين من عمري الآن وانا قادم الى حضرتك اعترضني احد من قليلي الأدب ... لماذا؟! ومن أين لي ان اعرف ..؟! إنها قلة أدب ... كنا نركب الباص سوياً فقلت له « ابعده من خلف زوجتي » فلكمني على وجهي ، انظر ما زال الى الآن اثر اللكمة واضحا على وجهي .

ماذا فعلت ؟! ... وماذا بإمكانني ان افعل يا سيدي ؟ امامي مستقبل أخاف عليه .. آه لولا مستقبلي لما تركته قبل ان اشبعه ضرباً . اقسم بالله كنت سادوسه بقدمي وادفنه هناك . لولا الخوف على مستقبلتي يا سيدي لكنت قتلته هناك .

هذا كل ما لدي يا سيدي .

الدنيا كبيرة لمن لا يجد لنفسه مكاناً عليها

صغرت الدنيا بالنسبة لبعض الناس لدرجة أنهم يستطيعون التقاطها بإصبعين ووضعها في فمهم وابتلاعها . أما بالنسبة للآخرين الذين يتجولون في الشوارع دون هدف ودون أن يعرفوا إلى أين هم ذاهبون فهم يرون بأن الدنيا كبيرة لدرجة أن المحيطات لا تتسع لها .

أحسست بكبر هذه الدنيا عندما كنت أعاني الجوع لليوم الثاني ، ولذلك فرحت كثيراً عندما رأيت كمال وقلت له :

– إلى أين أنت ذاهب ؟

– لا أدري .

من خلال جوابه أدركت بأن الدنيا كبرت بالنسبة له . فقلت :

– الدنيا كبيرة لمن لا يجد له مكاناً عليها .

لم أدرك تماماً إذا كان قد فهم قصدي أم لا ، لكنه قال :

– الناس لا يفكرون بشكل جدي إلا إذا ذاقوا طعم الجوع . وتابع يقول :

– إذا أردت أن تملأ معدتك بالكاتو والبسكويت تعال معي .

– على اعتبار أنني أحترم كل فكرة وبما أن ما طلبته يعبر عن فكرة ما ، إذا أنا مجبر على احترامها .

دخلنا إلى أحد محلات الحلويات الموجودة في غلاتا سراي ، وصعدنا إلى الطابق الرابع ، دخلنا من باب عريض مفتوح على مصراعيه ، عندما

نظرت في وجوه الموجودين أدركت ان متوسط اعمارهم فوق الثمانين عاماً . أي أننا ستجلس مع مواطني الطبقة العليا في المجتمع . نظرنا إلينا باستهجان وكانهم عرفوا عبرنا وحيثنا . يوجد بينهم -- امرأتان إن صح التعبير -- كن يجلسن على كراس مزرکشة ومريئة بالمجوهرات ووجود من الفماش الملمع اما بالنسبة للنوافذ ، فقد كانت واسعة ذات ستائر مصنوعة من المخمل وممتدة من السقف الى الأرض . كانت الثريا تنثر أضواءها من خلال عدد من المصابيح الكهربائية . جلسنا بجانب بعضنا على طاولة فارغة . وضع كمال رجلاً على رجل وأسند ظهره الى الخلف . كنت أفكر بأمرين ، الأول هو سبب وجودنا بين هؤلاء الناس والآخر كيف سنملأ بطوننا بالكاتو . مد كمال يده الى علبه فضية موضوعة على الطاولة وأخرج منها سيكاراً وأشعله ، فأخذت انا أيضاً سيكاراً وأشعلته . ولانني لم ادخن اية سيكاره من الصباح فقد أحسست بدوار حالمًا سحبت اول نفس من السيكار .

بعد وصولنا حضر عدة أشخاص آخرين ، همست بإذن كمال قائلاً:

— من هؤلاء ؟ فأجاب هامساً :

— هؤلاء هم مثقفو بلدنا ومشهوروه ، إنهم من الناس التي لا تدجن .

— وماذا سيحدث هنا ؟

— سنعرف الآن .

كان ضحك هؤلاء الأشخاص أشبه ما يكون بفرقة جنزير السفينة . إنهم معرض للطبقة المخملية في المجتمع ، الذين كثيراً ما نراهم في الجرائد والمجلات . كان يوجد بين الحضور رجل بدين ذو ذقن طويلة تدلت حادتها الى صدره . صعد فوق إحدى الطاولات بعد أن نظر الى ساعته وبدأ كلامه :

يا أبناء هذه الدولة المحترمين ، نجتمع اليوم ، كما تعرفون ، بناء على الاعلان الذي نشر في الصحف بنية تأسيس « جمعية تطوير تركيا بإستخدام السياحة » وكما هو معلوم بناءً على قانون تأسيس الجمعيات يجب أن نشكل هيئة مؤسسين للجمعية . وكما أرى يوجد فائدة عظيمة إذا كان عدد المؤسسين كبيراً ، ولهذا إذا سمحتم لي سأعتبر كل الحاضرين من هيئة التأسيس ، وتعالى الأصوات « موافق » « موافق » « موافق » جداً « تابع الرجل البدين قائلاً :

– إذا دعونا نسجل أسماء الحاضرين .

بدأ التسجيل من الجالسين قرب الباب ، ومع أنه يعرفهم واحداً واحداً فقد كان يردد أسماءهم بصوت عالٍ ويكتب :

– البروفيسور جودي رندلي أوغلو ، الأستاذ البروفيسور إلهام ناريت ، الدكتور ذهنى كل أباجي منهم البروفيسور ومنهم العضوي البرلمان ومنهم رئيس التحرير وهكذا

وعندما أتى دورنا سألنا الرجل البدين :

– وأنتم .؟ .

نفخ صاحبي دخان سيجاره وقال :

– كمال بالز .

– وأنتم .؟ قدمت اسمي قائلاً :

– حسن جيمبريك .

وبهذا أصبحنا من مؤسسي « جمعية تطوير تركيا باستخدام السياحة » .

قال الرجل البدين :

— لقد تم تشكيل هيئة المؤسسين . ثم بدأ سنتهم البيان العام للجمعية في الصحف بعد إتمام تحضيره . والآن يجب اختيار رئيس للجمعية من بين المؤسسين .

وبعد فترة من الصمت تخللها نوع من الهمس ، كانت حركة مؤحراتهم على المقاعد ، تدل على أن كل واحد منهم متشوق لأن يصبح رئيساً للجمعية . قلت لكمال بصوت منخفض بعد أن انهكني الجوع :

— متى سنأكل . كاتو ؟

همس قائلاً :

— بعد التسلية .

قال الرجل البدين :

— إذا سمحتم لي فانا ارشح الأستاذ البروفيسور علي سعاد لرئاسة الجمعية .

نظر الجمع الى الرجل البدين بغضب ، لأنهم شعروا أنه يأخذ حقهم في وضع النهار .

ولكن ما باليد حيلة ولذلك بدؤوا بالتصفيق لأنه عليهم مساندة الرئيس الجديد . وبعد أن مضى تأثير الدهشة الأولى وأثناء قيام البروفيسور علي سعاد — الذي وصل طرفا فمه حتى اذنيه — عن كرسيه ليشكر الآخرين على تشجيعهم ... قال كمال :

— دقيقة يا سيدي .

وما دخلك أنت يا كمال؟ .. كل الرؤوس التفتت إلى كمال الذي قال :

— يا سيدي ، إن استلام الاستاذ البروفيسور علي سعاد لرئاسة الجمعية ، ليس فخراً لهذه الجمعية وحسب بل هو فخر لكل عضو من أعضائها .

نظرت إلى المدعو علي سعاد ، كانت شفته ترفضان الانطباق فوق بعضهما من شدة فرحه ، وكاد العابه أن يسيل من فمه وتابع كمال قائلاً :

— ولكن الاستاذ البروفيسور علي سعاد هو الاستاذ الوحيد لمادة الحقوق الأساسية ، مئات الطلاب يستثرون من علمه ، ولهذا لا أعرف ما مدى صحة طلبنا من البروفيسور أن يصبح رئيساً لهذه الجمعية وترك أبحاثه العلمية مهما كانت فائدة رئاسته لهذه الجمعية كبيرة .

تضايق البروفيسور من هذه الكلمات ، وهمّ أن يتكلم مما أدى إلى خروج صوت قرقة من أسنانه الاصطناعية ، ولكن كمال لم يعطه فرصة للحديث وتابع قائلاً :

إن البروفيسور علي سعاد يعمل رئيساً « لجمعية الاكتشافات العلمية » ورئيساً لكل من الجمعيات التالية « جمعية الحقوق العالميين » و « مندوب تركيا في « جمعية أبحاث المنظمات الحقوق العالمية » ورئيساً لجمعية « تجميل البرك والنوافير » الموجودة في منطقته السكنية ، ويجب ألا ننسى أنه يعمل رئيساً لجمعية « انقاذ الاطفال اليتامى » .

اصفر وجه علي سعاد بيك وأصبحت أسنانه المستعارة تفرقع داخل فمه لدرجة أني خفت أن يصاب بفالج ، وتابع كمال حديثه بذكر عدة جمعيات أخرى يرأسها علي سعاد :

— كما هو واضح جداً فإن السيد علي سعاد المحترم يقوم بفعاليات اجتماعية كثيرة وبخدمات لا تنسى لبلدنا مما جعل منه رجلاً معروفاً على مستوى العالم . ولهذا لا اعتقد بأن السيد علي سعاد المحترم لديه وقتاً يسمح له كي يتراأس جمعيتنا .

أما إذا أراد أن يقدم خدمه لجمعيتنا ويستلم إدارتها فستكون سعاداء بذلك ...

صفق الجميع بسعادة وهم يحيون كمال حتى تكاد تظن أن في القاعة أكثر من خمسمئة شخص . كان كمال قد أراح من طريقهم شخصاً كاد يستلم الإدارة التي هي حلم الجميع دون استثناء .

وقف علي سعاد على قدميه بصعوبة وكأنه تقدم به العمر أكثر من عشرين عاماً . شكر الجميع وقال :

— حقيقة . أرجو أن تعذروني وتعفوني من رئاسة الجمعية لأنه لا يوجد لدي وقت للتفرغ لهذه المهمة كهذه . وحلست على كرسيه كمن لا يريد أن يقوم ثانية .

قال الرجل البدين :

— في هذه الحالة اسمحوا لي أن أرشح جمال خضري بيك لرئاسة الجمعية .

ولأن الملل قد غزا روح علي سعاد فقد همس :

— افعلوا ما بدا لكم .

كان واضحاً من وجوه الحاضرين العابسة أنهم غير راضين . لأن كل واحد يحب أن يصبح رئيساً للجمعية .

شكر جمال خضري بيك الحضور بإيماءة من راسه ، غير أن كمال انتصب واقفاً وصرخ :
- إذا سمحتم لي لدي فكرة .

ومن جديد التفتت الرؤوس إليه فتابع قائلاً :
- إنه لشرف عظيم لنا أن السيد جمال خضري بيك سيتفضل باستلام رئاسة جمعيتنا .

وصل طرفاً فم الرجل الذي يدعى جمال خضري الى اذنيه لدى سماعه هذه الكلمات وقال وهو يظهر علامات الخجل

- استغفر الله ... استغفر الله ، يا سيدي أنا أريد أن أقدم خدمة ...

قاطعته كمال قائلاً :

- لا أحب أن أمدح الرجل بحضوره ولكني للحقيقة وللتاريخ أحب أن أقول بأن السيد جمال عضو فعال في البرلمان ولهذا فانا متأكد من الفوائد الكثيرة التي ستجنيها جمعيتنا إذا قبل استلام إدارتها . ولكن يجب ألا ننسى أن السيد جمال بيك من النواب الفعّالين في مجلس الأمة.

قال جمال خضري بيك :

- لدينا أيام عطلة في المجلس ، أيام العطل كثيرة .

لكن صوت كمال طفى على صوت الرجل قائلاً :

- وكما هو معلوم فإن السيد جمال يذهب الى الناخبين في أيام العطل ليقيم التواصل معهم ومن جهة أخرى فهو يرأس نادي «حاجي

تبه « ومن جهة ثالثة يعمل رئيساً لجمعية « هواة جمع الطوابع » فكما
ترون أن السيد جمال خضري رجل منقل بالأعمال والمسؤوليات وبعد
ذلك فهو رئيس جمعية « اصلاح نسل الخمول » ورئيس جمعية « شاي
الشعر » .

وصل صوت اسنان الرجل الى آذاننا ومن خلال الشرر التي كانت
تتطاير من عيني الرجل . أدركت أنه سأكل كمال لقمة لقمة إن وقع
بين يديه .

وبعد أن اضاف كمال عدة جمعيات أخرى برأسها جمال خضري
بيك اضافة قائلاً :

— كما ترون ايها السادة ، من كثرة أعمال خضري بيك لا يجد
وقتاً ليحك رأسه وفوق ذلك تريدون أن تحملوه فوق طاقته بترشيحكم
إياه لرئاسة جمعيتنا ، أهذا هو العدل بنظركم ؟ ! .. العدل يا سادة ..
العدل أرجوكم أن تعدلوا .

لأن السيد جمال خضري سيقبل بالترشيح رغم كل ما قاله كمال
عنه لولا تدخل الطامعين بالرئاسة :

— هذا صحيح يا سيدي .

— فعلاً لا يجوز .

— الرجل محق في كل كلمة قالها .

وعندما اشتد التصفيق لكمال شكر جمال خضري بيك الأصدقاء
قائلاً :

— حقيقة ، كما تفضل السيد فانا مشغول جداً لذلك أرجوكم أن
تعفوني من هذه المهمة . قال هذه الكلمات وسقط على كرسيه قطعة
واحدة .

قال الرجل البدين :

وفي هذه الحالة أرشح السيد جاهد أمجان بيك .
أثناء تصفيق الذين فاتتهم فرصة استلام الرئاسة شكر جاهد
أمجان بيك الأصدقاء وهم أن يتكلم غير أن كمال قفز من مكانه وقال :

— أريد أن أتحدث .

لما أدرك الموجودون أن كمال سيفسد على جاهد أمجان استلامه
للرئاسة قالوا له :

— تفضل ...

— تفضل يا سيدي ...

قال كمال :

— إن السيد جاهد أمجان بيك يتطلى بكل المواصفات اللازمة
لمن يريد رئاسة جمعيتنا ، فكم ستكون سعادتنا عظيمة إذا تفضل وقبل
استلام رئاسة الجمعية .

توجه جاهد أمجان بالشكر الى كمال قائلاً :

— شكراً لهذا الإطراء ، شكراً لمجاملتك يا سيدي .

تابع كمال قائلاً — ولكن السيد جاهد أمجان يرأس تحرير إحدى
أكبر الصحف في البلد ...

صرخ جاهد أمجان :

— ليكن ... ليكن ... أنا راضٍ بذلك وأقبل به .

استاذن كمال قائلا : « من إذك يا سيدي » وتابع :

— فكروا معي بخطوره المهمات الواقعه على عاتق الصحافة التي تمثل السلطة الرابعة . أمن السهولة بمكان كتابة مقالة صحفية في هذه الأيام العvisية التي يمر بها بلدنا ، حيث الاخطار تهاجمنا من الخارج ومن الداخل ومن واجينا الاتحاد والعمل بجداً ونشاط .

فقال جاهد أمجان :

— ولكني الفت هذا العمل حتى اصبح نوعاً من العادة ...

لكن كمال لم يسكت :

— ويجب ان نأخذ بعين الاعتبار ان السيد جاهد أمجان عضو من امضاء مجلس الإدارة في عدة شركات منها « شركة الطيران التركية » ، « إدارة المياه » ... صارت رجلا جاهد أمجان تهتز أكثر من خمسين هزه في الثانية من شدة غضبه . وكانت اصابعه تنقر الكرسي كالنواس وبعد ان عدد كمال المناصب التي يشغلها جاهد من جمعية الصحفيين العالمية الى اتحاد اصحاب الصحف تابع قائلا :

— فوق كل هذه المسؤوليات أترون من العدل ترشيح السيد جاهد أمجان لرئاسة جمعيتنا ، أمن حقنا ذلك أيها الأصدقاء ؟! لا اعتقد ان السيد جاهد يستطيع قبول ترشيحه فوق كل هذه المسؤوليات التي ادرجناها سابقا ، ومع ذلك فهو ادرى . ومن جهتي أرجوه ان يقبل باستلام الرئاسة .

ومندما لم يبق أي مجال للقبول لدى جاهد أمجان قال :

— كلا ... لن أستطيع قبول ترشيحكم مع كل أسف .

قال الرجل البدني :

— في هذه الحالة سأرشح شكري إرغن إن كنتم تروه مناسباً .

همس كمال بإذني قائلاً :

— لقد اتى دورك ، قم وتكلم . . .

فقلت له :

— ولكنني لا أعرف هذا الرجل .

— قل ما تشاء .

وعندما هم شكري إرغن القبول الترشيح شاكرًا الأصدقاء ، وخزني كمال بإبرة في جنبي فصرخت « هه » . . . ففز كمال قائلاً :

— هذا السيد يريد أن يتكلم . .

وفجأة وجدت نفسي واقفاً ، حينئذٍ تذكرت حادثة قرأتها في إحدى الصحف في عمود الثرثرة الصحفية عن قصة زواج شكري إرغن من فتاة أصغر من ابنته . . فقلت :

— أيها السادة المحترمون ، أعتقد أن السيد شكري إرغن من أكبر الموجودين سنًا ، ولهذا السبب فهو أكثرنا تجربة ، وهذا ما يخوله لاستلام رئاسة جمعيتنا ، ولكنني أحب أن أستغل فرصة وجوده معنا لأقدم أجمل التهاني لحضرته بمناسبة زواجه من فتاة شابة ومازالا إلى الآن يقضيان أجمل أيامهم في شهر العسل ، ولكن أيها السادة فكروا معي بضيق وقتكما أعتقد أنهما لا يجدان وقتًا لحك رأسيهما .

قال شكري إرغن بيك بصوت مرتجف وكأنه يبكي :

— لا أريد . . . لا أريد هذه الرئاسة .

وهكذا كلما كانوا يرشحون شخصاً كان كمال يطلب الإذن بالكلام بهدف تحطيم سعادتهم وكان كمال لا يجند أحق بالرياسة من المرأتين العجوزتين ، وأما الأشخاص الذين لم تذكر أسماءهم بعد فقد كانوا يساندون كمالاً على أمل أن يأتي دورهم بالترشيح وبدأوا بمراقبة مجريات الترشيح .

وفي النهاية لم يبق سوى أربعة أشخاص لم يرشحوا للرياسة ، رجل مسن والرجل البدين وكمال وأنا . كان الرجل المسن بروفيسوراً في الجامعة في كلية الطب .

عدد كمال المناصب التي يشغلها البروفيسور من كرسي الأستاذية في الجامعة الى حاجة المرضى له إلى محادثاته حول الأمراض في الإذاعة إلى هواية السيد الخ الخ ...

وتابع كمال قائلاً :

...أما إذا أراد البروفيسور أن يقدم خدمة للجمعية ويقبل الترشيح فهذا عمل ان نساها خاصة وأن البروفيسور إنسان يحب المساعدة ولا نعرف كيف سنجزيه خيراً على عمله هذا . وأخيراً رشح الرجل البدين نفسه للرياسة . وكان كلما قال كمال شيئاً يقول :

— ليكن سأقبل الترشيح .. وأصبح رئيساً .

قال كمال :

بعد كل هذه الأعمال التي يقوم بها السيد . لا اعتقد بأنه سيقبل الترشيح أما إذا تفضل وقبل أن يكون رئيساً للجمعية فسيكون هذا القبول بمثابة تضحية ان نساها له والرجل البدين يصرخ :

— نعم إنها تضحية .. تضحية ، هل لديك اعتراض على ذلك !؟

خرج الرجل البدين عن طوره ونسي حدود التربية وكمال يرد عليه بكل ادب وبكل برودة أعصاب حيث قال :

— لا ياسيدي ، حتى إن قبلت أن تكون رئيساً ، فلن نسمح لك لاننا نعرف أنك بذلك تضحى بسعادتك وهذا شيء لن نرضاه .

— نعم سأضحى .

— ليس من حقل ياسيدي ، لن نقبل بذلك .

— صرخ الرجل البدين : — وما دخلك أنت ؟!

اجاب كمال بكل برودة أعصاب :

— كيف لا اتدخل وأنت عضو فعال ومهم وضروري لهذا الوطن ، حتى لو أردت أن تضحى بنفسك فالوطن لا يستغني عنك . نعرف أنك تحب التضحية ولكننا لن نقبل .

— الله الله . . . وما دخلك أنت يا أخي ، لا تتدخل بما لا يعينك .

— لا !! . . . إنه يعني . . . إن هذا الوطن بحاجة ماسة للأشخاص المهمين لأن وطننا لا ينجب الأشخاص المهمين أمثالك بسهولة ، أنت راقت بنا وقبلت رئاسة الجمعية ولكن مهما حاولت فلن نقبل بذلك لأن وطننا ينتظر منك خدمات أكبر وأعظم .

صار الرجل يصرخ وكأنه أصيب بمس :

— وما دخلك أنت ولا !! ؟!

حاول كمال تهدئة روع الرجل قائلاً :

— لا يمكن يا سيدي لا يمكن . . .

قال رجل مسن لكمال :

— لقد فشلنا بترشيح كل الموجودين ولم يبق سوا كما دون ترشيح

بدا الموجودون يتهامسون :

— الآن فهنا ماتريدان .

قال مباشرة :

— لن اقبل مطلقا باسادة ، ارجوكم الا تلحوا علينا بطلبكم ان
رئاسة جمعية تضم اناسا مهمين امثالكم ، تحتاج لمستوى اعلى من
مستوى الفكري وتحتاج لكفاءة غير موجودة عندي . وعندما اتى دوري
بالكلام قلت :

— لايمكن ... انا اعرف حدودي جيدا ، فلا عمري ولا ثقافتني
تسمح بذلك .

وبدات نقاشات فارغة لساعات طويلة وطرحت اثناءها تساؤلات
كثيرة :

— إذا ... ماذا علينا ان نفعل؟! ماذا سيحدث؟

قال احدهم :

— لقد تأخر الوقت ، سنفكر برئيس الجمعية في الاجتماع القادم ،
هيا لنذهب الآن الى البوفيه .

قال الرجل البدين لكمال ونحن نمر بجانب البوفيه الفنى بالماكولات :

— هيه هه هه .. انت .. من تكون؟

قال كمال :

— ليس مهماً من اكون .

— وكيف لا بهم ، قل لي من انت .

— لست مهماً ، انا مواطن عادي .

— اي مواطن ؟

— لقد ادركوا الموقف وبدؤوا بوابل من الاسئلة :

— من تكونان ؟

— ماذا تفعلان هنا ؟

— من دعاكما الى هنا ؟

قال كمال :

— ارجو ان تسمحوا لي كي اشرح الموقف، لقد كنت وصديقي هذا

نبحث عن عمل ، لم نترك مكاننا إلا وبحثنا فيه عن عمل ، ولما وجدنا

الباب مفتوحاً دخلنا بقصد السؤال عن عمل . وبعد ذلك سجلتم اسماءنا

وأصبحنا اعضاء مؤسسين لهذه الجمعية . . . هذه هي حكايتنا ؟

بعد ان انهى كمال حديثه ، هجم الجميع علينا ، كل واحد يريد

الشار منا .

— الخربون . . . الوقحون .

— الخونة .

– لقد ادركت منذ البداية انهما مخربان .

– اخرجوا من هنا .

– نادوا الشرطة .

– لا تفسحوا لهما مجالاً للهرب . امسكوهما ، اخبروا الشرطة .

– اتصلوا بالهاتف .

ركضنا نحو الدرج وتخلصنا منهم ، التفت كمال الى الوراء وصرخ

قائلاً :

– هيه ... هيا الى الزعماء ... يو هه ...

ركضنا صوب الشارع واختلطنا بالزحام ، كان الليل قد خيم على المدينة وانارت المصابيح الكهربائية الشوارع والمحلات ، ضحكنا وضحكنا حتى امتلأت عيوننا بالدموع .

قلت لكمال : – هل اعجبك العمل الذي قمت به ؟ ما الذي كنت ستخسره لو تركتهم يختارون رئيساً من بينهم ، لنملاً معدتنا بعد ذلك بالكاتو والبسكويت .

فقال كمال : – دعك من هذا ، اقسام ان تسلية كهذه تستاهل ان تنفى جائعاً ليلة اخرى .

فقلت : – تستاهل ... تستاهل .

الذنيا تكبر ، وتكبر ، وتكبر ، ... ما عادت ارجلي تقوى على المسير من شدة الجوع ... هذه الذنيا كبيرة جداً لمن لا يجد لنفسه مكاناً عليها .

الكلب ، كاشف اسرار البشر

عندما كنت أقيم في المستشفى لم يكن يزداد وزني ولكنه على الأقل لم يكن ينقص ، غير أنهم لا يسمحون لي بالاقامة في المستشفى أكثر من ستة أشهر ، وبعد خروجي من المستشفى كان ينقص وزني كيلوغراماً واحداً أو اثنين ، وهذا طبعاً من تأثير الجوع .

في الحقيقة ، أنا لم أكن أهتم لزيادة وزني بل كان ما يهمني هو ألا ينقص أكثر مما هو عليه ، فقد كان وزني عندما خرجت من المستشفى ، مع الالبسة ، حوالي ثلاثة وأربعون كيلوغراماً . ولهذا السبب دهش الرجل الذي قابلته في الآونة الأخيرة وأنا أبحث عن عمل . فقال لي :

– تريد عملاً ؟! وأي عمل تستطيع القيام به ؟

– لا فرق يا سيدي . أي عمل تراه مناسباً .

– بحالتك هذه ؟ ... كيف ؟

– وهل كنت تعتقد بأنني كنت سأقبل بأي عمل لولا حالتي هذه ؟
يا سيدي ليس بوسع أمثالي إلا أن يقولوا : «نعمل أي عمل تراه مناسباً» .

لا شك أن الرجل أعجب بكلامي كثيراً ، لأنه قال :

– اجلس لنرى .

جلست على المقعد الذي دثني عليه بإيماءة من رأسه ، وقال :

– افتح أذنيك جيداً ، واسمع كل كلمة سأقولها لك .

سألخص لكم ما قاله الرجل فيما يلي :

سأذهب الى بيت أحد الاغنياء ، لقد عرفته مباشرة واسمه ف.ب .
وسأجده في البيت حتماً لأنه لا يخرج يوم الأحد بعد الظهر من البيت .
ولأن السيد ف.ب ليس لديه اولاد فهو يحب كلبه كثيراً .

إنه يفتني بهذا الكلب كثيراً كما لو كان ولده ، إنه يحبه محبة الأب
لإنه ، في الحقيقة ، إن زوجته هي التي تحب الكلب ولأنه يحب زوجته
كثيراً فهو يحب الكلب الذي تحبه .

يقال بأن هذا الكلب مثل الانسان ، وبمباراة ادق ، هو مثل الانسان
الذكي ، لأنه أذكى من الانسان العادي . إذ أنه يتمتع بقدرة خارقة على
كشف الانسان الجيد والانسان السيء ، إن السيد ف.ب يستعمله
لاختبار البشر ، فإذا ما اقترب الكلب من الشخص وبدأ بلمسه ومداعبته
فهذا يعني أن هذا الشخص إنسان جيد ، أما إذا نبج عليه وعضه فهذا
يعني أن هذا الشخص إنسان سيء . إنه شيء لا يصدق ، ولكن هذه
هي الحقيقة لأن السيد ف.ب لم يتخدع بأي إنسان اختبر بهذه
الطريقة .

يقول الرجل :

- افعل ما بوسعك كي يحبك هذا الكلب . لأن الزوجة تحب كل
من يحبه هذا الكلب والسيد ف.ب يحب كل من تحبه زوجته . أفهمت؟!
إن السيد ف.ب . سيساعدك ويقدم لك عملاً إذا لم ينبج عليك الكلب .

ولأنه ما باليد حيلة فقد اضطررت لأن أجرب ما قاله هذا الرجل .
بقي حتى يوم الأحد يومين فقط ، مضى يوم السبت دون أن أتناول طعام
الغداء أو طعام العشاء . ولم أضع لقمة واحدة في فمي في صباح يوم
الأحد . لم يبق معي من العشر ليرات التي كانت يجبي سوى ثلاثة

ليرات اشترت بهما بسكويت . قطع سكر ، شوكلاته ، و قليلاً من السجق . وذلك كرشوة اقدمها للكلب كي انال رضاه .

لقد كنت جائعاً لدرجة أنني حاولت اكل قطعة بسكويت غير أنني صبرت ولم آكل شيء .

ذهبت الى بيت السيد ف.ب الذي حصلت على عنوانه من الرجل الذي حدثني عنه . وعلمت انه يسكن في الطابق الاول في واحدة من البنايات الواقعة في كوموش سو . يعتبر بيته في الطابق الاول بالنسبة للمدخل ولكنه من الجهة الأخرى أعلى بكثير .

فعلت كما قال الرجل ، ولكن المرأة التي فتحت الباب لم تسمح لي بالدخول فكذبت عليها ، كما علمني الرجل ، وقلت :

.. لقد دعاني السيد الى هنا ، لقد أخذت منه موعداً .

هندئذ سمحت لي بالدخول قائلة :

.. تفضل ، انتظره هنا .

كان الصالون كبيراً جداً ومفروشاً بأثاث فخمٍ كما القصور ، كان يبدو منظر البحر ، من النافذة الواسعة ، واضحاً وجميلاً . عندما اقتربت من النافذة ونظرت الى الاسفل ، أدركت أنني في الطابق الخامس على الأقل .

كل ما كان يشغل تفكيري هو الكلب ، ولهذا كنت في حالة من الخوف والقلق لما ينتظرنني من مفاجات . شعرت وقتئذ أنني في إحدى مغارات الموت التي كانت تكثر في العصور القديمة ، وبعد قليل لا شك بأن الأبواب ستفتح لتهاجمني الأسود الجائعة .

لو كانت قصتي انتهت بدخول هذا الكلب الى الصالون لاهترتها
نهاية سعيدة . بعد أن دخل الى الصالون أغلق الباب بمؤخرته كما يفعل
البشر ، ووقفنا وجهاً لوجه ، استطال وجهه . . . استطالت شفتاه ،
وظهرت أسنانه وكان الكلب ابن الكلب قليل الادب هذا يريد أن يعضني .

لقد فهمت أنني لم ائل إعجابه وذلك من خلال نباحه ، وبلفة
أخرى ، لن أجد عملاً هنا ، ولكن كيف سأتمكن من الخروج من هنا
لأنقد نفسي من التهلكة ؟

تقدم خطوة أخرى :

— هرررر . . .

الحمد لله انه توقف ، ما زال يحتفظ بقليل من الشرف . نظرت
الى اليمين فوجدت باباً آخر . . . يا إلهي . . . إنه يراقب حركة عيني
ولا يريدني أن انظر الى أي مكان آخر . خطر بذهني أن أركض بسرعة
وأفتح الباب وأنادي « النجدة قة . . . » ولكن ، ماذا لو كان أسرع مني .
فيمسكني من مؤخرتي ، عندئذ لن يتركني سالماً .

منذ زمن وأنا أسمع أن الكلاب لا تهاجم الناس إذا كانوا عراة . اذن
لم لا أخلع ثيابي ، أرميها فوق الكرسي ، وأهرب من الباب ؟ . . . لا لا . . .
لا يمكنني . لأنني ما أن أحرك أصابعي حتى ينبج ونباحه يكفي لرعب
الانسان ، أين الناس الذين يعيشون في هذا البيت الواسع ؟ ليس أمامي
سوى الصراخ . . . وبدون أن أدري صرخت :

— هيه هيه هيه . . .

اجابني الكلب بأن اقترب خطوتين نحوي ونبح :

— هرررر . . .

عندئذ تذكرت الرشوة التي وضعتها في جيبي ، ولكنه سينبح اذا
ما حركت أصابعي ... وبلغم البصر اخرجت الشوكولاته والسكر
والسجق . راح يشم الاشياء التي رمتها على الأرض . وبعد ذلك أبعد
رأسه عنها وكأنه اشتمز منها .

لم يأكلها !!! . يا إلهي ماذا سافعل ؟ لا شك سنتفاهم فكما يقولون
يتفاهم الكلاب بالشتم والبشر بالكلام . لأقل كلمتين لتهدئة الجو مع هذا
المارد . ربما ينفع الكلام الجيد مع هذا الكلب . نعمت صوتي وقلت :

.. بوبي .. بوبي يتي .. يا حبيبي .. يا روجي .. يا لك
من شب جميل ... تعال .. تعال ...

نسر عن انيابه ونبح ردا على كلاسي . فضممت شفتي ربما يحبني
كثير :

اد منك اد ...

.. هرررر ..

.. ما شاء الله ... أنت جميل جداً ، ما أسمك يا حبيبي ؟!

.. هرررر ..

.. يا صاحب الصوت الجميل ... ولك ... ولا !!! ... يا حبيبي

... يا ولدي ...

.. هرررر ..

.. يا روجي ... يا حبيبي .. يا وحيدتي ...

.. هرررر ..

– هيا ... تعال الى هنا ... هيا تقدم من أخيك الكبير ... تعال
يا روحي .. يا حلو ..

– هرورر ...

قلب الحجر يلين وقلب هذا الكلب لا يلين ، لا يوجد في قلبه ذرة
عدل أو رحمة . فعلا لم يكذبوا حين قالوا عنه « كلب يشبه البشر » .

لقد سررت كثيراً لأنه لم يهاجمني حتى الآن ، ولذلك فكرت أن أكل
الاشياء التي أحضرتها وذلك لسببين ، الأول : لأنه لم يحبها والثاني :
لأن الجوع بدأ يزداد شيئاً فشيئاً وعندما مددت يدي لأخذ قطعة
بسكويت حدثت المصيبة الكبرى ، ودخلنا في معممه كما يحدث في أفلام
الكرتون ، درنا عدة دورات وبعد ذلك اصطدمت بالجدار وقفرت من
الباب الخارجي فاصطدمت بإمرأة تلبس زيوب نوم أحمر كانت تنزل
الدرج . فتدحرجنا عدة درجات وتمددنا فوق بعضنا ، المرأة في الأسفل
وأنا فوقها والكلب فوقي . ولكن ما أثار دهشتي فعلا هو الكلب الذي
صار يلحس وجهي ويداعبني وهو يهز ذيله . قالت المرأة بعد أن سحبت
نفسها من تحتي .

– من أنت ؟

لكنني صرخت من شدة دهشتي :

– ها قد نلت رضا الكلب ... لقد صار يحبني .

ذهبت المرأة ، التي كانت تبدو جميلة وشابة ، بعيداً وهي تهز
مؤخرتها ، وبقيت أنا والكلب ، نظرت الى الاسفل فأدركت أن سروالي
قد تمزق ، والكلب ما برح يهز بزيه ... يا إلهي ما الذي يحدث ، لا أكاد
أصدق أنني أداعب رأسه بيدي ، بعد ذلك شبكت سروالي بدبوس ياقة
القميص لأنه ليس من المنطقي الخروج بسروال ممزق الى الشارع . دخلت

الى السالون وتبغني الكلب انه لا يتركني . يدفعني بصدرة كي يرميني
ارضاً ويبدأ بلحس وجهي . حتى تلا جسمي بلعابه . وكلمما أردت
النهوض يضع أطرافه الأماميتين على كتفي ويرميني ارضاً . يريد أن
أن يلعب ويلهو وكأنه كلب آخر غير الذي كان ينبع منذ قليل . يرميني
وأرميه وتقلب فوق السجاد وتندحرج . . . لقد اجتمعت عدة عوامل
الجوع من جهة والمرض من جهة ثانية والخوف من جهة ثالثة فأحسست
بالإنهاك والتعب . الممم اننا القنا بعضنا لدرجة أنني جمعت السكويات
والشوكولاتة والسجق من الارض وبدأت بإلتهاهما .

قدمت له بعضها ولكنه لم يأكل .

لقد أرتحت كثيراً . فصرت الاسب الكلب بصوت عال وذلك لي
بسمعني السيد ف . ب :

يا حبيبي . . . يا روجي . . . يا حلو . . . تعال . . . هيا تعال .
لقد القنا بعضنا .

وعندئذ دخل السيد ف . ب . كان الكلب يلحس وجهي لسان
بطول جذائي وكانت أول كلمة قالها السيد ف . ب :

لقد احبك .

فقامت :

ادامه الله .

... إنه كاشف أسرار البشر ، لا يألف لكل الناس ، ويعرف الشخص
الجيد فوراً .

شكرا لك .

ولكن الكلب لا يفسح لي مجالاً كي أتحدث مع الرجل بحرية .

— إنه يسمع الكلمة وينفذ الأوامر مثل البشر تماماً .

فقلت :

— آه يا سيدي ، ليت كل البشر يسمعون الكلمة مثله .

ثم خاطب كلبه قائلاً :

— هيا إلى الخارج يا رينتين .

فظوى الكلب ذيله وخرج . ابتسم السيد ف. ب. قائلاً :

— سروالك؟!!

— لا يوجد أي ضرر يا سيدي ، لقد تمزق قليلاً عندما كنا نلعب .

وبعد ذلك اعتذرت عن الأزعاج الذي قد أكون قد سببته له في يوم

العطلة وطلبت عملاً ، ثم أعطيته اسم الشخص الذي أرسلني إليه .

فقال :

— تعال إلى المصرف غداً .

ثم شكرته على استقباله وخرجت من البيت .

ولكن اللفز الذي لم أستطع فهمه هو موقف الكلب في بداية الأمر

وموقفه في النهاية . لماذا نبج في بداية لقاءنا وبعد ذلك أحبني وصار

يداعبني ؟ لقد حل لي هذا اللفز أحد معارف العائلة فقال :

— فعلاً إنه كلب ذكي . إن زوجة السيد ف. ب. درست الكلب

على عادة مفادها أن يعرف مباشرة الشخص الذي يداعبها ويمارس معها

ويمضي معها اوقاتاً سعيدة . فيحبه ولا يبيع عليه . اما اذا دخل الى البيت شخص آخر غيره فانه يصرمه اربا اربا . هل دأعت السيدة وامضيت معها وقتاً ممتعاً ؟ .

قلت :

.. نعم لقد شعطنا فوق بعضنا اربعة او خمسة درجات وبعد ذلك وقفنا على أرجلنا .

.. جيد . بعد ذلك أحبك الكلب . ولولا ذلك لمزقك اربا اربا .
لانه مهما يكن فإنه يبقى كلباً فمن أين له أن يعرف سبب وجودكما فوق
بعضكما أنت والمرأة ؟ .

لقد عشت كثيراً . ورأيت كثيراً . وتعلمت الكثير الكثير حتى وصلت
الى هذا السن . لقد رأيت الكثير من القوادين بين البشر ، ولكني اليوم
ولاول مرة رأيت قواداً بين الكلاب . يا لهذه القدرة الخارقة التي يملكها
البشر ، الدرجة قد علموا الكلاب القوادة .

ماذا ! اتسألني عن العمل ؟ ! .

اللائه اعين في المصرف . لان روجة السيد ف . ب . قالت لهم :

.. « لا توظفوه » .



جاء ابو الشراشر

— لقد مات نهاد السكران .

— ألم تسمع ؟ لقد مات منذ زمن .

— مات المسكين عندما كنت في فرنسا ، وعندما رجعت سمعت

بهذا النبا السيء . . . آه . . . آه .

— كان يشرب كثيراً .

— واضح من اسمه ، نهاد السكران . . . هل بقي يشرب كما كان

في الماضي ؟ !

— وهل تسمي ما كان يرشفه في الماضي شرباً ؟ صار يبدأ بالشرب

في الصباح ولا أحد يعرف بأي حفرة يمضي ليلته ، كان غالباً ما يصحو

من سكرته في المخفر ، الحمد لله أن كل الشرطة كانت تعرفه . أحياناً

كان يبقى غائباً عن الانظار يومين أو ثلاثة أيام يعود بعدها بوجه مجروح

مليء بالخطوط الحمراء .

— لكن شربه كان جميلاً .

— كان هذا في الماضي . ولكن في أيامه الأخيرة لم يعد شربه جميلاً ،

إذ إن شكله كان يتغير من الكأس الأول الذي يشربه ، يعبس وجهه ،

تتدلى شفاته ، تحمر عيناه ويثقل لسانه فيصبح حديثه عديم المعنى

ويتفوه بالفاظ حقاء . لقد أصبح المرحوم مكروهاً جداً في أيامه الأخيرة

وأصبح لا يحتمل . وأصبح ثرثاراً فإذا ما جلس في مكان ما لا يبرحه ولا

يمكنك التخلص منه بأية طريقة إذا ما جلست معه .

— آخ . . . آخ . . . كم كان إنساناً جيداً وذا تربية ممتازة !! . . .

— لقد جعلني سخرية لكل الناس في إحدى المرات . هل سمعت
بتلك الحادثة ؟ .

لا أتوقع أنك سمعت بها . لأنك كنت وقتئذ في فرنسا .

* * *

حتى الآن لم أعرف ما الذي أحبته تلك الفتاة في شخصيتي .
أما أنا فقد كنت أحب كل شيء فيها . كانت آيسفين فتاةً محبوبة جداً
ولا ينقصها أي شيء .

لم أكن أو من بالحب من نظرة . ولهذا ظننت أنها كانت تسخر مني ،
طبعاً كان يجب أن أظن ذلك وإلا فكيف سأفسر سبب اختيارها لي . وهي
التي باستطاعتها اختيار أي شاب من الشباب الواسمين ، آيسفين فتاة
شابة وغنية .

عندما نكون جالسين لا يمكن أن تدرك الفرق بيننا ، وعندما نمشي
يظهر عدم التناسب بيننا بشكل واضح ، كانت طول قامتي تصل إلى
مستوى كتفها فقط . وسبب ذلك ليس طولها غير العادي بل قصر قامتي
غير العادي . كنا نلفت انتباه المارين عندما كنا نمشي بمحاذاة بعضنا .
دعمني آيسفين في الصيف إلى بيتهم حيث كانوا يقيمون في الجزر ، قالت :

— تستطيع هناك أن تتعرف على أمي وأبي .

ولكن كما تعلم أنا خجول جداً ، فليس من اللائق أن أذهب إلى
بينها والتعرف على والدها ووالدتها دون مناسبة . ثم بأي صفة
سأذهب ؟ والأسوأ من ذلك أنني ووالد آيسفين بنفس العمر تقريباً فأنا
أكبر منها بخمسة وعشرين عاماً .

طبعاً أنت تعلم أن هذا الوضع غير محبب . هيا لنفض الطرف عن الورم الذي تحت عيني بتأثير السن ، ثم أن أباهاً أيضاً يشبهني بهذه الناحية ولكن هندامي قديم جداً ، وكنت يومئذٍ عاطلاً عن العمل ولا أستطيع أن أشتري ثياباً جديدة ، قلت :

– سأتي إلى الجزر ولكن لن أذهب إلى بيتكم .

الحت كثيراً ولكني قلت :

– لا يمكن أن أذهب فالقرار ليس بيدي ، سأتعرف على والدك في مناسبة أخرى . ذهبت إلى بيوك أيضاً « الجزيرة الكبرى » قابلتني في الميناء وذهبتنا إلى شارع المشاق الموجود في الطرف الخلفي للبيوك أيضاً . شبكت آيسفين أصابعها بأصابعي ، طبعاً كما تعلم هذه الوضعية تناسب تماماً مايسمى بالحب الأفلاطوني .

بعد فترة من الزمن شعرت بأن آيسفين قد تعبت كثيراً لأنها اضطرت للانحناء قليلاً كي تصل أصابع يدها إلى مستوى أصابع يدي نتيجة للفرق الكبير بين طول قامتيها . ولهذا فقد تراجمت عن الوضع السابق وحاولت وضع ذراعها فوق كتفي فحبست بذلك رأسي تحت ذراعها . وكنت بين الحين والآخر أخرج رأسي من تحت إبطها كي أجيب على بعض الأسئلة التي كانت توجهها إلي . عندما وضعت آيسفين ذراعها فوق كتفي توجب علي أن ألف خصرها بذراعي وذلك كي يكتمل منظر العشق الأفلاطوني ، ولكن على الرغم من رفع ذراعي إلى أقصى حد ممكن لم أتمكن من مسك خصرها ولهذا « لا تؤاخذني » بقيت يدي تحت مؤخرتها تماماً . انظر الى هذا الوضع غير اللائق ، ومع ذلك فأنا واثق من أن ذراعي كانت ستصل إلى مستوى خصرها لو لم تضع رأسي تحت إبطها .

ما كان يدعشني دائماً هو ما الذي تحبه آيسفين الجميلة في شخصيتي؟! طبعاً طرحت هذا السؤال على أحد معارف العائلة أقصد عائلة آيسفين فأجابني قائلاً :

— جميع أفراد عائلتها بنفسى المادة .

— وكيف ذلك ؟!

— أمها تحب القطط كثيرا ، ووالدها يحب الكلاب ويوجد في بيتهما كما يعتقد أكثر من أربعين أو خمسين قطا وكلبا . وكل هذه الحيوانات تتصف بصفات مشتركة : قبح منظرها وغير محبوبة . لأنهم لا يأخذون إلى بيتهم أية قطة جميلة أو كلب مقبول ، وكلما وجدوا قطة قبيحة في الشارع يأخذونها إلى بيتهم . وعندما سألت أمها عن السبب ، قالت : « القطط والكلاب » الجميلة موجودة في كل بيت ولكن الحيوانات التي نأكلها لا يوجد في أي بيت حيوانات شبيهة بها » .

أي أن هذه العائلة تحب الأشياء المختلفة ، وكل معارف العائلة يعرفون هذه الميزة التي تستمتع بها هذه العائلة . ولذلك فقد كان كل شخص يلتقط قطة أو كلبا مجروحاً . أو وسخاً أو قبيحاً يذهب وبيعه إلى هذه العائلة . . فليس عجبا أن تعجب بك آيسفين ومحببتها لك طبيعية جدا لأنها ورثت هذه الميزة عن أهلها .

أراحني هذه الكلمات كثيرا ومع ذلك فقد كانت الحيرة تملكني بعض الشيء .

لنا تمشنى في طريق المشاق بخطوات بطيئة جداً فطلبت منها حال وصولنا إلى الشاطئ المقابل قائلا : — هل تحبين أن تجلس قليلا ؟ .

قالت : — طبعاً .

جلسنا بجانب بعضنا ، قلت :

— آيسفين . هناك أمر بحيرني جداً .

— وما هو ؟

— أنت فتاة جميلة ، متطورة ، تذهبين الى الجامعة ومن عائلة
عنية جداً ، إنسانة بهذه الصفات الكاملة ما الذي يعجبك في شخصيتي
حتى تعلنين حبك لي ؟ .

قالت بلا اي تردد :

— أحب كل شيء فيك . أنت رجل زكي وحديثك رائع ... إنك
شخصية رائعة .

نظرت الى وجهها وحدقت داخل عينيها كي أعرف إن كانت
تسخر مني ، ... كلا إنها لا تسخر مني لأنها تتحدث بجديّة تامّة .
ولا يوجد أية علامات للسخرية في ملامح وجهها . ولو اكتشفت وقتئذ
أنها تسخر مني لخنقتها ورميتها في البحر ، كنت أحرق في عينيها ...
قالت :

— لا تنظر إلي هكذا

لم أستطع إبعاد نظراتي عنها ، فقالت بلهفة :

— لا تنظر إلي هكذا ، إنك تخيفني .

تطمأنت وشعرت بالراحة والأمن فوجهت نظراتي الى البحر .

هي التي طلبت الزواج مني ، ولو كان الأمر بيدي لما استطعت ان
أقول لها « لتتزوج » حتى لو عشت عشرة آلاف عام ، نظرت الى الارض
قائلاً :

— لتتزوج .

قالت : إن أكثر ما أحبه فيك هو هذا الخجل وهذا الكبرياء .

بالرغم من انها فتاة متطرده جسداً فقد كانت مرتبطة بالعبادات والتقاليد الاجتماعية . ولهذا فقد كانت تعتبر انه من الضروري أن يبارك أبوها وأمتها هذا الزواج .

قلت : - ايمن ان انال إعجابهما ؟

- لقد حدثت امي وأبي عنك وهم لا يرفضون طلباً لي . وقال
أبي : « ادعه الى البيت لتتعارف » .

- لا استطيع ان اذعب الى بيتكم الآن ، ساتعرف على والدك في
مناسبة اخرى .

منذ ذاك اليوم أوآيسين تخلق الفرص ليتم التعارف بيني وبين
عائلتها ولكني خوآف بطبعي . فقد كان يتعين علي أن أجد عملاً ما ، وأن
أجمع النقود . غير أن آيسفين كانت ترى أن العمل مؤمن بعد الزواج
إذ ان والدها يعمل في الاستيراد والتصدير وممثلاً لعدة شركات أجنبية
وهو بحاجة لشخص مثلي كي يساعده في عمله .

قالت آيسفين في احد الأيام :

- لقد اتت الفرصة ، غداً ستتعرف على والدي في السهرة التي
تقيمها .

أعطتني بطاقتي دعوة . نظرت الى البطاقة بطرفه عيني « يجب
الحضور باللباس الرسمي » .

اي يتوجب علي أن أجد طقم سموكين ، ولكن ... لا يوجد لدي
ايه البسة غير التي البسها . كانت هذه السهرة عبارة عن حفل تعارف
بين الصحفيين الاجانب ووكالات الانباء الموجودة في استانبول . سيأتي

الى الحفل موظفو السفارات الأجنبية لأن والدها مندوب لشركات أجنبية
كثيرة وله علاقات مع الأجانب .

وعندها بان أحضر إذا سنحت الفرصة . ولكن كيف سأذهب ؟
وهل أملك ثياباً تليق بالاحتفالات ؟

في الليلة التي ستقام فيها السهرة كنت أتجول في الشوارع بملل
لا يطاق . والبطاقة في جيبي ، ولأنني لا أملك سوى ثمن كأسين أو ثلاثة
كوؤوس من الخمر دخلت الى إحدى الخمارات في لامبو لأنها أرخص من
غيرها . أتعرف بمن التقيت ؟! لقد التقيت بهاد السكران هناك ، وكعادته
في كل مرة يلقاني فيها احضنني وقبلني وطلا وجهي بلعابه اللزج . كنت
وقتئذ بحاجة لأي شخص كي أشكي له همومي . وبدانا نشرب ، كأس ،
إثنان ، ثلاثة ... أربعة ... قال بهاد السكران : - نحن في أي يوم من
أيام الأسبوع ؟

- الأربعاء .

تفوه ... ، بأمه ، ولك خرجت من البيت صباح الاثنين ،
أي أنني خرجت منذ ثلاثة أيام . كنت اعتقد أنني خرجت صباح اليوم
من البيت ، لئلا كيف سأقنع زوجتي بذلك ...
وفجأة وكأنه استفاق من سكرته قال :

- في أي يوم من أيام الشهر ؟

- اليوم الرابع .

- إيه ... الحمد لله ، للحظة ظننت أنني خرجت من البيت في يوم
الاثنين من الأسبوع الماضي ولهذا خفت كثيراً .

كيف قمنا بالثورة م-٦ - ٨١ -

... لا تخف . اليوم هو الرابع من شهر شباط .

... ماذا ؟ أياها ...

... ماذا حدث ؟

... ولك ... أنا خرجت من البيت في اليوم الثاني من شهر كانون الثاني لقد وقع الفأس بالرأس . لا شك أن زوجتي ستطلقني . لقد وعدتها بأن « أشرب في البيت » وأقسمت يمينا على ذلك . قالت « وإلا سأطلقك » والله ستطلقني

بدأ نهاد السكران بالكاء فاختلط سائل أنفه مع لعابه مع دموعه .
وقال :

... لم لا تشرب !!

... لم يبق معي نقود . شربت بالنقود التي كانت معي .

... أنا أملك نقوداً . اكتشفنا عندما كنا نحضر طعام الفطور أنه لا يوجد شاي في البيت فأعطيت زوجتي قطعة نقدية من فئة الخمسمائة ليرة وقالت « اشترى شايًا وعد بالباقي ، ولكن لا تتأخر . وخرجت من البيت ولم أعد حتى هذا الوقت .

بدأت أبحث عن أحد يصرف لي الخمسمائة ليرة . بحثت وبحثت حتى وصلت إلى البي أوغلو فقلت سأشرب قدين من الخمر كي يصرفوا لي الخمسمائة ليرة .

وأما عن بقية القصة فانت تعرفها . آه يا زوجتي العزيزة .. آه .. منذ شهر وأنت تنتظريني على مائدة الإفطار كي أحضر لك شايًا .

صارت عناء أشبه بنسبوري ماء من شدة الكاء .

- يا اسطة لامبو املاً قدحين آخرين .
تقترب حالة السكر من الانسان عندما يكون مهموماً ولهذا فقد
تملت من القدح الثامن أو التاسع ، لا اعرف امن شدة الثمالة أم تضامناً
مع نهاد السكران بدأت بالبكاء يبكي فأبكي على بكائه .

- اسطة لامبو ، املاً الاقداح من جديد .

- قال الاسطة لامبو :

- لا ... كفى شرباً .

- أرجوك ، آخر قدح .

- ولا قطرة واحدة .

- خرجنا من الحانة نهتز تارة ، نسقط على الارض فنقوم تارة
أخرى ونبكي تارة ثالثة وهكذا حتى دخلنا الى خمارة اخرى .

قال نهاد السكران :

- انا أبكي من أجل زوجتي ، ولكن لم تبكي انت ؟

شرحت له الطرف الذي أمر به . فقال :

- هل أنت مجنون ؟ هيا اذهب الى الحفلة . ايمكن أن تضيّع من
يدك فرصة كهذه ؟!

- انظر الى ما هو مكتوب في هذه البطاقة ، اللباس الرسمي
إجباري .

- هذه البطاقة لشخصين .

- لا يوجد بطاقة الشخص واحد .
- حسن . لنذهب سوياً . السامير الفرنسي من اغر اسدقاني .
سأعرفك عليه كي لا يقول والد العلاء انك حمق وقليل الشأن .
- لا يمكن ان نذهب بهذه الالبسة .
- لدي في البيت ثلثي سموايز . لنذهب وتلبسهما . ولكن يجب
رسل كل شيء ان تشتري علبة شاي .
- الساعة السابعة عشر إلا ثلاث، ان سنجد شايًا في وقت كهذا ؟!
- سنجد في المظاهي . إن اعطيتمهم نقوداً لحظة لقد خطرت
بالى فكرة : سنقول لزوجتى كان نهاد عندي في البيت ولم اتركه بفادر
لاسى ادب فناء . ووفاء لصدافتنا يحاول التوفيق بيننا . هل فهمت؟
واليوم سنسائل والد الفتاه . . . إن زوجتى إنسانة رقيقة جداً ستشفق
بالسك .
- خرجنا من العمارة فوجدنا معوي على وشك الإغلاق ، اخذ منها
علبة شاي واعطى صاحبها ثلاثة أو أربعة اشعاف منها . وذهبتنا بعد
ذلك الى بيت نهاد السكران .
- ادخل بهدوء . . . رينا تكون زوجتى نائمة ، سطلين بيابسا
ونخرج دون ان نوقفها . اخرج المصباح من جيبه ولتنا لم نجد ثقب
الباب . اشعلت عود ثقاب كي نرى الثقب . خمسة عيدان . عشرة عيدان
ولكن دون فائدة قال نهاد بعد ان احترقت اصابعي :
- ابعث عشرين الثقب وأنا سأشعل عود الثقاب .
- اشعل العود فاشعلت العلية بأكملها . قال نهاد :

— يا إلهي لقد احترقت . . . ، وتدحرج . . .

وأخيراً وجدت الثقب ، ولكن المفتاح لا يدور داخل القفل ولا
استطيع نزعه من مكانه فخاطبت نهاد قائلاً : «

— ولك نهاد ربما نكون قد أتينا إلى بيت غير بيتك ، هل أنت متأكد
من أن هذا البيت هو بيتك .؟

تراجع نهاد إلى الخلف ، أسند ظهره على الجدار المقابل ونظر إلى
الباب عن بُعد ثم قال :

— طبعاً إنه بيتنا ، الا يعرف الإنسان بيته .؟

في هذه الأثناء دار المفتاح ، فتحنا الباب ودخلنا إلى البيت على
رؤوس أصابعنا ، أشعلنا المصباح الكهربائي وأخرج نهاد طقمي السموكين
ولبسناهما ، ولكن كان أكبر من مقاسي بكثير فقال نهاد :

— إنه على مقاسك تماماً ، وكأنه فصل من أجلك .

فقلت :

— لكنه واسع جداً يا صديقي .

— لا يقال واسع والأصح أن تقول « فلو » ، إنه الموديل الدارج
هذه الأيام .

— أكمام البنطال طويلة جداً ، ستكنس الأرض .

— حسن ، اطوبها قليلاً ، هيا لنخرج بهدوء .

مشيت على رؤوس أصابعي ومشى نهاد خلفي وبدأنا بنزول الدرج
. . . فجأة سقط نهاد فوق ظهره وكأنه تابوت ، وصرنا نتدحرج فوق

السلم حتى نزلنا الى مكان مظلم جداً بقي نهاد مستلقياً فوق ظهري
وذلك له :

- انزل عن ظهري ولا انا .

- دع رجلي كي انزل .

لقد حصل سوء تفاهم بسيط فبدل ان امسك درابزون الدرج
مسكت برجل نهاد وسقطنا

قال نهاد :

- على ما يبدو ان هذا البيت ليس بيتنا . لقد دخلنا الى بيت
بالخطأ .

- ولكننا ليسنا ثيابك كما ترى .

- اعلم ذلك انها ثيابي ولكننا عندما سقطنا دخلنا الى بيت الجيران .
ففي بيتنا لا يوجد مكان كهذا .

اضابت لمبة الدرج فسمعنا صوت زوجة نهاد وهي تقول :

- انه بيتك انه بيتك .

- زوجتي العزيزة . لقد احضرت الشاي ولكنك كنت نائمة
فاشفقت عليك ولم اشأ ايقاظك من نومك كي لا اسبب اي ازعاج لك . . .
اين الشاي . . . الشاي . انه يوجه سؤاله لي . فقلت :

- الشاي معك .

- ولك ماذا فعلنا بالشاي ؟!

هجمت زوجته علينا ويدها عصا طويلة وهي تقول :

— شاي ها ... شاي ها اااا ... اخرج من هنا .. هيا الى
المكان الذي كنت فيه .

— اهدئي يا زوجتي العزيزة ... لا تضربيني ... ستعديني
عندما أشرح لك .. يوجد معي ضيف ... والله عيب ... صديقي
سيتزوج وأنا سأ ... لا تضربي ... يا اااا ... اهدئي واسمعيني
... انظري ... سأقول ...

رمتنا في الشارع وأغلقت الباب خلفنا بقوة ... بقينا فترة من
الزمن على الأرض بعدئذ مشينا بتثاقل ، كان نهاد السكران يبكي
وهو يقول :

— هذه هي زوجتي قليلة الشرف ... لقد قضت على حياتي ...
ولتك ألا يستطيع الرجل خلال أربعين عاماً أن يحضر ضيفاً الى بيته
... اليس من حقي إحضار ضيوف الى بيتي ؟ قلت أريد شايًا وها انذا
أحضرتها لك ... أفعل كل ما تريدونه ... فهمت كل شيء رغم أنني
ثعلٌ فقلت :

— يجب ان ننسى فكرة الذهاب الى الحفل .

— أيمكن ذلك ؟ ... بعد كل الذي فعلته لاجلك .

ركبنا سيارة وذهبنا الى بي اوغلو قال نهاد السكران :

— لن نستطيع ان نذهب بهذا المنظر الى الحفل .

لقد عاد الى رشده كما يبدو ، قلت

— طبعاً .. لن نذهب .

... من شرب قدحين أو ثلاثة أقداح من الخمر كي نستعيد شجاعتنا
ونذهب بعد ذلك .

... لقد أغلقت كل الخمارات .

... أعرف في الشارع الحظي دكانا يبقى مفتوحا الى وقت متأخر
من الليل . سنأخذ من عنده رجاغة ونشربها .

... شعرت بالتوتر بعد ان شربت رجاغة الخمر . ووجدت نفسي
شائعا بين امرين . اولهما ان هذا اليوم هو فرساي الأخيرة للتعرف على
والد العتاة والثاني ان المسافة تجاوزت النائية بمد منتصف الليل . وبعد
قليل سيهترق المدعوون .

... مسنا بسرعة لسفط حينا ونمض حينا آخر . وبعرفت بحاجة
ماسة للبول من امره ما شربت خمرأ . قال نهاد السكران :

... أريد ان أبول .

... فف... لا يمكن ان بول هنا . لنبحث عن مكان مناسب .

... دخلنا الى زقاق خلفي ، ودخلنا بين براميل القمامة الموجودة امام
إحدى الأبنية والتي قلبها القمامة والكلاب أثناء البحث عن الطعام مما
أدى الى انتشار القمامة في كل مكان لقد وجدت ان هذا المكان هو
المناسب للبول غير أنني فقدت صوابي وسقطت أرضا فتدحرجت فوق
الأوساخ . حلمت أنني فوق سريرى غير ان اصوات الكلاب والقطط
انقطنني من حلمي ... نظرت حولي فسمعت صوت نهاد يهذي قائلا :

... يا روجيني العزيزة ... أرجوك ان تصمتي ... اسمعي لما

... سأقول ... سدفني هذا سينزوج و ...

ضرخت بأعلى صوتي :

- نهالاً اداد ...

- جاءني صوت استغاثة :

- إي ي ي ...

- أين أنت ؟

- أنا هنا ، وانت ؟

- أنا هنا أيضاً .

- هيا انهض ...

- لا أستطيع الخروج من هنا .

نفضت فوجدت نهاد مقلوبا ، رأسه في برميل القمامة ورجليه في

الهواء ، أمسكته من رجليه وسحبته . قائلا :

- هيا سينفرق المدمون .

- يجب أن أغسل وجهي .

- دعك من غسيل وجهك الآن .

- لا يمكن ... لقد فعلوها فوق رأسي قليلو الأدب .

سحبته قائلا :

- هيا .. امشي .

إن أصل المشكلة بدأت في هذه القمامة : فعندما بدأت بفك أزوار
السروال تدرجت على الأوساخ فدخلت إلى سروالي جذور قمصية نبات
الكرات مع أوراقها القاسية المنتهية بأكياس البذار وبعد أن نهضت ررت
سروالي غير أن جذور النبتة بقيت داخل السروال وتدللت الوريقات
القاسية المنتهية بأكياس البذار إلى الأسفل من خارج السروال ، أما
بالنسبة لنهاد ، فقد كان ثملاً أكثر مني فنسي أن يذر سرواله ولكننا لم
نكن مدركين للوضع الذي نحن فيه . وبهذا المنظر وصلنا إلى باب فندق
الليظة ، وقبل أن ندخل قال نهاد :

— لترتب منظرنا قليلاً .

طبعاً رتبنا منظرنا ودخلنا من باب الفندق ، وما إن وضعنا أرجلنا
في الداخل حتى تسلطت علينا أضواء الكاميرات . . . سقطت الأضواء على
وجهي وكأنها لكمة وجهت إلى أنفي فاصطدمت رجلي ببعضهما . الحمد
لأنني لم اسقط على الأرض . لقد كانوا يصورون فيلماً وفائعيماً .
سيعرض في دور السينما ، صوروا كل الموجودين ولكنهم ركزوا علينا
أكثر من الجميع وبالضبط كان التصوير سوجهاً نحو نصفنا السفلي .
طبعاً أنت تعلم سبب ذلك ، رجل يلبس السموكين وتندلى من بين فخذيهِ
ومن خلفه أوراق نبات الكرات التي شكلت مع أكياس البذار التي في
طرفها شكلاً أشبه ما يكون بالشراشر وأما الرجل الآخر فقد كان منظره
أسوأ بكثير .

هربنا من الأضواء ودخلنا إلى الصالون فضحك الجميع بأصوات
عالية وصار الشباب والشابات يصرخون بأعلى صوتهم :

— أبو الراشر .

— أبو الشراشر .

— انظروا إلى أبي الشرار .

يا اخي ومن هو هذا الأبو الشراشر !! كان الموجودون يضحكون
بتشكل جنوني . اما انا فقد كنت جدياً للغاية . ولم افهم أنني سبب كل
هذه السخرية ، بل ظننت أنهم يسخرون من نهاد لأنه ثمل أكثر مني .

– يا نهاد ، ولك قف بلا اهتزاز ، إنظر إنهم يسخرون منك .

– وهل في شخصيتي أو في مظهري شيء يدعو الى السخرية ، إنهم
يسخرون منك .

– وهل في مظهري ما يدعو للسخرية ؟ .

نظرنا يمينا ويسارا ، فقد كنت أبحث عن إسيفين .

قال نهاد السكران :

– انظر ... إنه هنا .

– من ؟

– السفير الفرنسي .

– دعك الآن من السفير يا ...

– تعال سأعرفك عليه ، إنه صديق حميم ، لا شك أن والد الفتاة
سيعطيك علامات أكثر في الامتحان اذا ما رآك مع السفير الفرنسي .

الحمد لله لقد وصلنا الى طاولة السفير دون أن نسقط على الأرض
أما النساء والفتيات الجالسات على طاولة السفير فقد هربن بعيداً بعد
أن وضعن أيديهن على أفمامهن وأخرجن أصواتاً « هه » « به » .

ضغط نهاد على يدي السفير قائلاً :

— كيف حالك ؟

— مرسى ... وانت مسيو نهاد ؟

— مرسى ... احب ان اقدم لك صديقي حسن ...

صافحت السفير يدا بيد . وبعد ان تحدثنا جملة أو جملتين قال

السفير :

— بردون (٤) ... وابتعد عن الطاولة .

قال نهاد :

بين فتاتك ؟

قلت :

— ابي ابحت عنها .

وما إن نظرت الى إحدى الطاولات حتى ألتقت نظراتي مع نظراتها حيث كانت تجلس مع أبيها وأمها وعندما رأيتي ادارات رأسها في جهة أخرى ، ما معنى هذا ؟ ومن الذي يجلس معها ؟ مشيت نحوها فجاء رجل نحوي وقال :

— بردون مسيو ...

وأراد بايماءة من رأسه ان يدلني على الطريق بغية إظهار أوراق الكرات اتدليمة من بين فخذي . وما أن نظرت الى المكان الذي دلني عليه الرجل حتى وقع نظري على سحاب سروال نهاد المفتوح فقلت :

— تفرووو ... لعنك الله يا نهاد ، لقد أخجلتني بين الاكابر .

(٥) بردون : عفوا .

— وماذا فعلت لك ولهم؟! ...

— وهل بقي شيء لم تفعله؟... انظر الى سروالك... كلسواك
الابيض ظاهر من فتحة السروال فقال نهاد:

— أف... يامه ..

وخشية أن يراه الناس استدأروا نحو الخلف كي يزر سرواله ، ولكن
ما الفائدة ونحن نقف في وسط الصلاة ، فقد رآه الذين كانوا خلفه .

تركنه واتجهت نحو أيسفين التي غادرت طاولتها عندما رأته
متجها نحوها . أمسكت بها في الممر ، كانت تبكي بمرارة . فقلت لها :

— لماذا لا تعرفيني على والدك ؟

— أبهذا المنظر ؟

— وما به منظري ؟ ألم تقولي أنك تحبينني ؟

طبعاً أنا أحبك ولكن ليس بهذا المنظر بل بشكلك الطبيعي .

فظننت أنها لم تحبني باللباس الرسمي ... فقلت لها :

— وماذا باستطاعتي أن أفعل ، اللباس الرسمي إجباري .

— أهذا هو لباسك الرسمي ؟

— طبعاً لقد فعلت هذا كي يليق منظري بحفلة كهذه .

— ازداد بكأؤها فقلت :

— يا حبيبتي ، أقسم بالله أنني لبست هذه الثياب كي أنال إعجاب

والدك ووالدتك هربت أيسفين وهي تبكي ، وكلما اتجهت نحو جهة ما

كانت الأصوات تملو والقهقهات تزداد وهم يرددون :

- أبو الشراشر ، أبو الشراشر .

بحثت عن نهاد السكران فوجدته وخرجنا من هناك وأنا أبغي الانتحار ! أخذت من نهاد عشر ليرات ، أتعرف أين كنت أبغي الانتحار ؟ في البيوك اضا ، من فوق الصخرة التي شهدت ايسفين وهي تقول لي « أنا أحبك » ، سأرمي نفسي من أعالي الصخور الى البحر .

ركبت اول باخرة متجهة نحو البيوك اضا ، اشتريت من المباء زجاجة خمر ومشيت . جلست فوق تلك الصخرة ، أبكي تارة وأشرب تارة اخرى ، وبعد ذلك وقفت على قدمي ، وعندما نظرت الى الاسفل نحو البحر رأيت اوراق نبات الكرات المتدلية بين فخذي فسقطت بمكانسي .

إيه ... لقد وضع نهاد السكران وجهي في العطين يا أخي ، صوروني فيلما بالشراشر وعرض هذا الفيلم في السينما تحت إسم الوقائع المحلية ولكن الرقابة منعته من العرض ، ومن يومها أصبح اسمي حسن الشراشر وكان نهاد السكران هو السبب في ذلك .



- الي تر تلك الفتاة بعد تلك الليلة لا

- احيانا اراها هنا او هناك ، ولكنها ما ان تراني حتى تنظر الى الاسفل .

- من أجل النظر الى ساقيك ؟

- لا يا أخي ، من شدة خجلها .

(*) الشراشر : الذئب : اطرافه وذئبه وما انتشر منه .

يا سيدي الولد

دخلت من الباب الزجاجي الدوار وقلت للرجل الواقف على اليمين
الذي ظننت أنه يعمل بواباً : أين غرفة السيد المدير ؟ .

أجابني الرجل بإيماءة من رأسه مشيراً إلى اليمين ، شعرت أن
هذا الرجل مغرور بطبعه أو أنه ازداد غروراً لأنني استشرته بأمر ما .

وجدت مصعداً في الطرف الذي أشار إليه الرجل ، حالما فتح
الباب سألتني رجل اعتقد أنه عامل المصعد :

– إلى أين ؟

قلت :

– إلى غرفة السيد المدير .

أحسست أن عامل المصعد قال : « هذه الدنيا مليئة بالأغبياء » ،
وذلك من خلال الأصوات التي خرجت من فمه نتيجة لإلتقاء طرف
لسانه مع الأسنان « جك » « جك ، جك » قال :

– ألا تراني واقفاً هنا ، استشرني على الأقل .

– حسناً ، أريد مقابلة السيد المدير .

– انتظر حتى يأتي ثلاثة أشخاص آخرين .

– ولكنني أريد أن أرى السيد المدير .

– اصعد من مكان آخر . . . فالمصعد لا يصعد بأقل من أربعة
أشخاص .

كما يبدو أن هذا الرجل قد فرح كثيرا لأنه جعلني أنتظر ، صار
يمشي وهو يشبك يديه وراء ظهره . جاء رجل آخر أوقفه عامل المصعد
قائلا :

- ولك ... هل سنشرح لكل رجل بدوره . هذه الآلة لا تصعد
إلا بأربعة أشخاص على الأقل .

أصبحنا أربعة بمجيء امرأة قابلنا ما بروح مرحية كي تصعد . لكن
عامل المصعد وبحركة سريعة أغلق المصعد ووضع المفتاح بجيبه . قالت
المرأة :

- تريد ان تصعد الى الأعلى .

رفع عامل المصعد انفه الى الهواء أكثر وأكثر وقال :

لو جئت قبل قليل لصعدت ، أما الآن فقد بدأت استراحة الغداء .
أين كنت حتى هذا الوقت ؛ تعالي الساعة الواحدة والنصف عندئذ.
سيبدأ المصعد بالعمل .

- ولماذا ؟

أشار بسبابة يده اليمنى الى ساعة موحودة في ساعده الأيسر وقال :

- أين رأيتم مصعداً يعمل في استراحة الغداء ؟ ممنوووع ، تعالوا
في الساعة الواحدة والنصف ، وإصعدوا الى المكان الذي تريدون .

لم يكن لدي أي عمل في ذلك اليوم ، فقط أتيت كي أبارك للمدير
الجديد ، لقد كان شاباً في مقتبل العمر كنت افخر به كثيراً . أفتح له
مكتبتي وأأخذ منها ما يحتاج من الكتب والمراجع . وكم كان يزداد

سروري عندما كان يردد « أنت الذي ربيتني » ولكنني لم أره منذ ذهابه الى أوروبا .

تناولت طعام الغداء في المطعم ، ثم أمضيت بعض الوقت أمام واجهات المحلات وعدت الى الدائرة في الساعة الواحدة والنصف ، كان رقمي العشرين في طاوور المصعد . ولما أتى دوري ركبت مع ثلاثة أشخاص آخرين بالإضافة لعامل المصعد ، قلت له من جديد أنني أريد مقابلة السيد المدير . نزل الجميع من المصعد ، فتح العامل الباب فسألته :

- في هذا الطابق ؟

قال :

- من ؟

- السيد المدير ، ألم أقل لك أنني أريد مقابله .؟

- ولم لم تقل منذ البداية ... اخرج من هنا ثم انزل طابقين ، لان النزول بواسطة المصعد ممنوع .

نزلت طابقين ، كان ممر هذا الطابق وسيعاً للغاية والصالون كذلك . يوجد أبواباً على طرفي الممر ، ويجلس بواب على كل كرسي موضوعة أمام باب كل غرفة .

سألت أقرب بواب :

- أين غرفة السيد المدير ؟

أشار الى لوحة من التوتياء موضوعة على الباب وقال :

- الا تعرف القراءة ؟

مكتوب على اللوحة « معاون المدير » .

– أين غرفة السيد المدير ؟

اشار بطرف أنفه الى الصالون ، ذهبت الى هناك فوجدت ثلاثة أبواباً لم توضع أية لوحة على أي منها . ذهبت نحو رجلٍ يسند يده على حافة النافذة ويقرا الصحيفة وسألته .

– عفواً ، أين غرفة السيد المدير ؟

ومن دون أن يرفع ظهره عن الصحيفة قال :

– اي مدير ؟

وعندما صمت ، تابع :

– أي مدير تريد ؟ المدير الأول أم الثاني أم الثالث ؟

– لست أدري . وكل ما أعرفه هو أن اسمه جيتين .

– أمم .. اتقصد الشاب النحيل ، .. ذو الأكتاف الهابطة ؟

ذو العينين الذابلتين . يا لقلّة التربية .. خاطبته بلهجة قاسية :

– ايّاً كانت أوصافه ، أريد الذي يدعى جيتين ..

– عرفته .. عرفته . ذو الشعر السابل ، نعم إنه هو ، يمشي

ببطء .. أليس كذلك ؟ وعندما يتكلم لا تفهم ما يقوله ، نعم إنه هو

بشكل مؤكد . يعني ذلك أنك تريد المدير ذو الأنف الحاد .. نعم إنه هو

المدير العام .. وماذا تريد منه ؟

توترت أعصابي فقلت :

- وما دخلك أنت ؟

- أنا بواب المدير العام .

- الا يوجد مديراً لمكتبه ؟

- يوجد وماذا سينفـير في الموضوع ؟

- قل له اني اريد مقابلته .

- اـلديك موعد سابق ؟

- كلا .

- لا يمكن مقابلة المدير العام بلا موعد سابق .

- كل ما اريده منك هو ان تخبره اني اريد مقابلته .

- ايمكن ان اسمح بالدخول لكل المراجعين ؟

اعطيته بطاقتي وقلت :

- اعطه هذه ..

اخذ البطاقة بإشمئزاز ودخل من احد الابواب الثلاثة ، ولم يخرج بعد ذلك . وعندما يأسـت من خروجه نزلت الى الطابق السفلي وخرجت من المبنى ، فخطر ببالي ان اتصل به هاتفياً .

اتصلت بجيتين هاتفياً من مقسم البريد ، فرح كثيراً عندما عرفني وقال :

- ارجوك ان تأتي الى مكنتي .

قلت :

- سأتي حالا .

عندما دخلت الى المبنى وجدت جيتين ينتظرني عند الباب الرئيسي .
قال لي بعد ان تصافحنا :

- كنت ساذهب إليك ولكي لم اعرف مكان إقامتك .

قلت له ونحن في المصعد :

- لقد اخجلتني يا جيتين . لماذا خرجت من مكتبك لاستقبالي ؟

ابتسم قائلا :

- سأشرح لك في المكتب .

ادركت انه لا يريد ان يسمعه عامل المصعد . دخلنا الى مكتبه .
فعلا كان مكتبا ملفتا للنظر يليق بمدير عام . . .

قلت :

- يا إلهي يا جيتين . ما زلت شابا . لم اختلطت بين طلاب المدرسة
الثانوية . لما فرقتك عنهم . . . هل أصبحت في الثلاثين ؟

- يا أخي لقد أصبحت في الثالثة والثلاثين .

- إن استلامك لهذا الموقع الهام وانت في الثالثة والثلاثين شيء
رائع . لقد أتيت لأباركك بك بهذا المركز الحساس - أقسم بالله لا يظهر
عليك أنك في الثلاثين من عمرك .

نعم ... ولهذا لا يوجد أحد هنا يجد أن رتبة مدير عام تليق بي فلو لم أنزل الى الباب الرئيسي لاستقبالك لما استطعت مقابلتي مهما حاولت .

طبعاً لم أخبره أنني أتيت إليه ولم أستطع مقابلته . قال :

لقد حاصروني جيداً ، فلا يسمحون لأحد بدخول مكنتي .

دهشت لما يقوله فسألته :

ومن الذي يحجبك عن الناس ؟

في الحقيقة أريد أن أشرح لك كل شيء ، فأنا بحاجة لأحدٍ كي يسممني والحمد لله أنك أتيت الى هنا بعد عودتي من أوروبا عيّنت في أفترة وبعد ذلك ترقيت درجتين وعيّنت كما ترى مديراً عاماً لهذه الشركة . كان المدير السابق رجلاً بديناً ذو كرش وكفتين عريضين دهش كثيراً عندما رأيته فخطبني وكأنني طفل صغير وقال « ما شاء الله ، ما زلت شاباً يا سيدي الولد إنشاء الله سيكون النجاح حليفك » .

فقلت له بعصبية : « أنا اسمي جيتين » ، انزعج كثيراً ولكنه استمر بمخاطبتي بنفس اللهجة « يا سيدي الولد » أمام الموظفين والبوابين والحجاب وأثناء الاستلام والتسليم كان يردد دائماً عبارة « التجربة مهمة جداً ... يا سيدي الولد » . أدركت وقتئذ أن الرجل يعاني من عقدة نقص المعرفة ، إذ أنه لم يستطع استيعاب أن يستلم شاباً أصغر من ولده مكانه ، قال : « يا سيدي الولد ، إن صادقك أية مشكلة لا تنسى استشارة البواب عبد الداية ، لأنه يستطيع مساعدتك » . فقلت « أرجوك يا سيد ، لست ممن سيتعلمون من بوابه » فقال « لا لا لا ... لا تقل هذا يا سيدي الولد يجب ألا تفريك المناصب

والا تنظر إليه بصفته بواباً أو حاجياً أو خادماً . لقد خدمت في وظائف الدولة أكثر من ستة وعشرين عاماً .

واستلمت خلال هذه الخدمة الطويلة مناصب مهمة جداً واستطيع أن أعترف لك بأنني استفدت كثيراً من البوابين . خاصة وأن عبد الداية ، يملك خبرة وتجربة طويلة وغنية . يجب أن تستفيد من خبرته وذلك من أجل منفعتك » .

بعد أن انهى كلامه ضغط على الجرس وقال للبواب عبد الداية الذي دخل الي المكتب فوراً « يا عبد الداية ، إن المدير العام الجديد ما زال شاباً وقليل التجربة » وتابع « يجب أن تسير الأمور على نفس الوتيرة ، كما كانت سابقاً . فلا تدخل بحسناتك وبمعلوماتك عليه » . فقال البواب « إنه مثل ولدي . ومساعدته من إحدى واجباتي » .

قلت للحاجب « هيا اخرج » فخرج .

انه يتظاهر بحمايتي كي يقرّمني ويقضي على صلاحياتي ومسؤولياتي . وعندما انتهت أمر الاستلام والتسليم قال لي « اسمح لي بأن أقدمك للزملاء يا سيدي الولد » .

فقلت « أرجوك لا تزعج نفسك » . وما أن مشينا جنباً الى جنب في مكاتب الدائرة حتى أصبحت كلمته هي المهمة لأن كل شخص يستمع له . اجتمع المدراء والمساعدون والموظفون في الصالون ، فأخرجني المدير العام السابق من المكتب مشبكاً ذراعه بذراعي محاولاً إظهار محبته وحمايته لي . وكما تعرف يا أخي أنا لست خضوعياً لهذا الحد ولكني كنت أقول « على كل حال سيذهب ولن أرى وجهه ثانية » .

خاطب المدير العام الموجودين قائلاً « أيها الزملاء المحترمون أقدم لكم المدير العام الجديد » ووضع يده فوق كتفي وبعد ذلك أمسكتني من

ذقني كظفل. وقال : « أنا واثق من انكم لن تبخلوا باحترامكم لمديرتنا العام الشاب » . قال هذا وقرصني من خدي .

لعنة الله ، لقد حقرتني امام الجميع . يا إلهي ماذا سأفعل ؟ لئلا يكتمه على وجهه سأضع نفسي في موقف حرج لا أحسد عليه . وليس حلاً أن أترك الجميع وأدخل الى مكنتي ، لقد توترت أعصابي ولم أعد أقوى على التفكير فالبتسمت وصمتُ وأما هو فقد تابع حديثه وبين الحين والآخر يقرصني من خدي مظهراً حبه لي قال : « أيها الزملاء المحترمون المثل يقول العقل في الرأس وليس في العمر فلا تنظروا لكون المدير العام ما زال شاباً . ولا تُخذعوا بذلك ، فقد تعلمتُ في أوروبا وقرأت كتباً كثيرة ولا أشك بأنكم وأصدقاؤكم المناوبون بعد الظهر ستحبونه وتطيعون أوامره مثلما كنتم تحبونني وتطيعون أوامري ولا تبخلوا أيها الزملاء بنجارتكم على سيدي الولد المدير العام لأن التجربة مهمة جداً كما تعلمون ، فلا تحرموا سيدي الولد ، مديرتنا العام من تلك الخبرات ، هل تعدوني بذلك ؟! » .

ارتفعت أصواتهم « تعديكم » ضمن جوءٍ من الضحك . أما أنا فقد احمررتُ وجهي من كثرة الدم الذي احتقن فيه ، فكررتُ بأن أتكلم كلمتين لأضع حداً لهذا الرجل فقلت « اسمحوا لي » ولكن المدير العام ضمَّ وجهي الى صدره الضخم مما أدى الى إحتقان الكلام في فمي وكدتُ أختنق ، وبعد ذلك قبلني المدير العام السابق وخاطب الموجودين قائلاً « استودعكم الله » . وصار يبكي فبكى الحاضرون على بكائه . حتى النساء أوصلتهن باقيات الى الباب الرئيسي . وبقيت وحدي في الصالون .

عندما أتينا من أنقرة لم نجد بيتاً للإيجار يتناسب مع النقود التي نملكها فأقمنا في بيت « بالدز » وبدأنا البحث من جديد ولكن لم نوفق بسبب غلاء البيوت .

أما بالنسبة للدائرة فقد اسبح كل شخص فيها يعاملني بأبوة
فانلاً « يا سيدي الولد » حتى ضاربة الآلة الكاتبة المقدمة بالنس قليلاً
كانت تناديني قائلة « يا سيدي الولد » يا احي ثدت احاب بالجنون
وانا اسمعهم يقولون « سيدي الولد فوق ... سيدي الولد تحت ..
ذهب سيدي الولد ... انى سيدي الولد » وكاننى لست مديراً
عام هذه الدائرة . بل يتيما فيها وكل شخص يرى نفسه بأنه مسؤول
عن حمايتى .

ولما راجعت الملفات والأوراق التي في الدائرة اكتشفت ان الفساد
قد تغفل الى ابسط الأمور . وله اتمكن من فهم اي شيء في هذه الدائرة
لأنهم أفسدوا ترتيب المراجعات بحيث تتوزع نتائج الفش على الجميع .
ايضا اضع يدي احد نفسى جاهلاً بخفايا الأمور . ولا يمكن ان تكتشف
من المسؤول عن كل هذه الأمور لان الفساد والرشوة تبدأ من البوابين
ورؤساء الأقسام وحتى اعلى منصب في الدائرة .

صرت اعمل من اجل اصلاح الفساد حتى ساعات متأخرة من
الليل ، دخل البواب الى مكتبى في إحدى المرات وقال بحنان :

— يا سيدي الولد . لقد اوصاني مديراً السابق بك خيراً

فجأة توترت اعصابى فصرخت :

— هيا اخرج من هنا .

فقال بايحية اب يغفر لولده العاق :

— على راسى يا سيدي الولد . ساخرج ولكن اريد ان اقول امراً

لمصلحتك .

فصرخت بغضب « اخرج من هنا » فلم يكثرث بما اقولهُ فبدأ

يسرح لى ويعلمنى صلاتنا الاما بـ « يا سيدي الواد » . قال :

- يا سيدي الولد ، منذ استلامك لهذا المنصب وانت تأتي كل صباح بنفس الوقت مع ادنى الموظفين رتبةً وتنصرف مع انصرفهم واحياناً تقادر مكتبك بعد انصرفهم ، فإذا استمر الوضع على هذه الوتيرة فلن يكون بينك وبينهم أي فرق وستدنى قيمة جنابكم بنظرهم الى ادنى حد وقد لا يعطوك أية اهمية ، عفواً يا سيدي الولد لا يمكنك اهمال قيمة التجربة والخبرة . صار لي في هذه الوظيفة اكثر من اربعة وعشرين عاماً عاصرت خلالها مدراء اكثر ، إنني بعمر والدك يا سيدي الولد .

- اخرج من هنا . . . هيا اخرج من هنا !!!

لولا خوفاً من الفضيحة لرميته بشيء ما على راسه . ولم أجد طريقه للتخلص منه أفضل من طرده من العمل :

- هيا اخرج من هنا . . . لا أريد أن أراك في هذه الدائرة بعد الآن .

بعد قليل جاء الى مكنتي معاوني والمدير الثاني وبدأنا بالحديث وكلمنا انتهى كلام الاول يبدأ حديث الآخر :

- يا سيدي الولد ، انت محق ، ولكن هذا الرجل خبير في كل شيء ، طبعاً جنابكم من يقرر يا سيدي الولد ، ولكن من الأفضل الا تطرد هذا البواب ، إننا نتحدث معك بصفتنا اصدقاءك المجريين ونريد مصلحتك .

وما ان غادرا المكتب حتى اتى غيرهم وهكذا . . عندئذ فهمت انهم حلف واحد ابتداءً من البواب وحتى المدير .

وجدت نفسي امام امرين ، الاول ، إذا ما طردت هذا البواب من عمله سيصبح الجميع اعداءً لي وسيفسد العمل بالكامل ، والثاني ، إذا غيرت مكانه سأخسر تجاربه .

في يوم، من الايام كنت متكبها على عملي في المكتب حين دخل نفس
البواب وقال :

— يا سيدي الولد . إذا سمحت لي أريد أن احدثك قليلا ولا اريد
ان يذهب كلامي هدرأ . إنك ذكرى غالية تركها لنا مدبرنا السابق . منذ
مجيئك الى هذه الدائرة وانت تنجز كل الاعمال بنفسك يا سيدي الولد .
دع هذه الاعمال للآخرين إنك مدير عام ولهذا يجب الا تعمل شيئا
يا سيدي الولد .

ضحكت من شدة غضبي وقلت :

حسن حسن

أتى في يوم آخر وقال :

— يا سيدي الولد . إنك تسمح لكل شخص بالدخول الى مكتبك
لتنهي له عمله . فإذا انهيت الاعمال بهذه السهولة لن يعطوك أية أهمية .
ولهذا يجب ان يأتي المواطن ويذهب أكثر من مرة حتى يعرف مدى
صعوبة عملنا . أقسم بالله اني اقول هذه الكلمات كي اصون مصلحتك،
يا سيدي الولد . حتى أن اضرار تصرفك لحفت بنا أيضا . نحن البوابون
في هذه الدائرة . لم يبق أحد يحترمنا إذ أن المواطن الذي لديه عمل هنا
يأتي ويدخل متى يشاء دون أن يراجعنا يا سيدي الولد .

وأتى في يوم آخر علمني الا استقبل احداً دون موعد سابق . فعلى
كل مواطن يريد ان يقابلني ان يأخذ موعداً قبل اسبوع ، وعليه الا يتكلم
معي مباشرة بل يصل الى مكنتي عن طريق التسلسل من الحاجب الى
المكتب الى الموظفين الى المدراء الثلاثة وبعد ذلك يصل الى مكنتي .

— وإلا فلن تجد احداً يعطيك أية أهمية يا سيدي الولد . المدير
العام . هو من يجلس في مكتبه دون عمل يكون أكثر ثقلاً من الآخرين .

بدأت افهم اساس الفساد في هذه الدائرة ، من المؤكد انه لا يوجد موظف في هذه الدائرة يعيش من راتبه فقد عملوا ترتيبات تؤمن لهم اضعاف رواتبهم وبذلك يحصلون على أموال مثل التراب ، وبسبب اسلوبي الجديد في إدارة الشركة انقطعت عنهم هذه المعونات مثل : البخشيش والرشاوي والبراطيل وغير ذلك .

بينما كنت أبحث عن طريقة لإصلاح الفساد في هذه الدائرة كان أهل بيتي يبحثون عن بيت مناسب للإيجار ، وأخيراً وجدوا بيتاً أجرته الشهرية ستمائة ليرة ولكن صاحبه يطلب الدفع مقدماً .

قالت زوجتي :

— سمعت أن صاحب البناية يعمل موظفاً في دائرتك ، قد يتراجع عن شروطه إذا ما قابلته وبذلك لا يأخذ منا إجرة سنة سلفاً .

فقلت :

— ما اسمه ؟

— لا شك أنه أحد مدراء الشركة ، اسمه سلام بيك .

لا يوجد أحد بهذا الاسم في دائرتنا ، ذهبت يوم الأحد مع زوجي كي نرى البيت الذي سنستأجره ، إنه عبارة عن شقة واسعة في بناية كبيرة مؤلفة من ثلاث طوابق... وصاحب البناية يسكن في إحدى الشقق فذهبنا إليه ، أتعرف من هو صاحبها ؟ إنه عبد الداية .

يا أخي كدت أجن ، ففي الوقت الذي أبحث فيه عن شقة صغيره لأسكن فيه . يملك بواب مكتبي بناية كبيرة كهذه ، وبإختصار ، قال لي :

— يا سيدي الولد ، إنك من ميراث مديرنا السابق ولهذا لن آخذ منك إجرة سنة مقدماً بل ساكتفي بستة اشهر .

ولما لم افتح فمي تابع :

- إن قبلت . تستطيع ان تكسب اجرة سنة كاملة خلال شهر واحد .

سألته :

- وكيف ؟

- يكفي أن ترفض استقبال من يريد مقابلتك ، لانك لم تترك لي ابنة فرصة عمل .

وبإختصار ، رجعت الى البيت .

وهكذا يا اخي أصبح لي في هذا المنصب قرابة الشهرين وقعت في حيرة من أمري خلال هذه المدة ، ماذا سأصلح ومن اين سأبدأ بالأصلاح؟ لقد شكل جميع الموظفون جبهة واحدة متماسكة الى حد غريب ، فإذا ما وضعت يدي على أي فساد في هذه الدائرة سينتهي كل شيء كما تنسل خيوط الجراب . ماذا بإمكانني أن أفعل ؟ لقد حاصروني فلا يسمحون لأحد بمقابلتي ويصعبون الأمور أمام المراجعين ، عيَّنت استعلامات في الأسفل من أجل القضاء على هذه المحاصرة ولكن البوابين والحجاب يخلعون لوحة الإعلانات ولا يظهروها لأحد . ولهذا نزلت الى الأسفل كي أقابلك ولولا ذلك لما سمحوا لك بمقابلتي مهما حاولت .

هناك أشخاص يأتون الى الدائرة من أجل مقابلتي عشرة أو خمس عشرة مرة ولكن دون فائدة .

فقلت لجيتين :

- وماذا ستفعل الآن ؟

— سأذهب الى انقرة وأطلب مقابلة الوزير ، خاصة أن الذي استلم الوزارة رجل يعرف الله ، سأشرح له كل شيء .

— جيد ، وماذا ستطلب منه ؟

— إذا لم ينقل هؤلاء الموظفين الى مكان آخر ويعين بدلاً منهم موظفين آخرين ، فلن نستطيع القضاء على الفساد ، أو على الأقل يغير موظفاً واحداً من كل ثلاثة .

قلت :

— إنشاء الله .

وبعد هذا اللقاء فارقت جيتين وأنا حزين لوضعه .

بعد عدة أشهر سمعت أن جيتين قدّم استقالته ، وفي أحد الأيام قابلته في الباخرة ، كان حزيناً جداً ، سألته عن سبب استقالته .
فقال :

— ذهبت الى الوزير وشرحت له كل شيء . . . كاد الوزير أن يبكي وقال « أعرف كل هذا ، ولكن هذه الأمور ليست موجودة في دائرتك وحسب بل موجودة في كل الدوائر .

الطريقة الوحيدة التي يتم بواسطتها القضاء على الفساد هي تغيير كل موظفي الوزارة . ولكن أين سنجد بدلاً منهم ؟ ثم هل نملك القدرة على ذلك ؟ فسألت الوزير « وماذا سنفعل ؟ » فأجاب « إما أن نعتاد على ذلك أو نقدم استقالاتنا » وبعد ثلاثة أشهر قدمت استقالتي .

فسألته :

— والوزير ؟

- مازال في منصبه ، ولكنني سمعت أنهم سيميلون وزيراً آخر بدلاً منه وهذا هو ما كتبتة الصحف عن الأزمة الوزارية .

قلت :

- إنها أفضل طريقة ، تغيير وزير واحد أفضل من تغيير كل الوزارات .

قال :

- لا ينتهي الأمر بتغيير الوزارات .

قلت :

- وماذا تفعل الآن ؟

قال :

- لا شيء عاطل عن العمل .

بعد هذه المحادثة بقيت مدة طويلة لم أرا فيها جيتين ، سمعت أنه

احتم بالسياسة وكتبت عنه الصحف كثيراً ، إنه سياسي ممتاز ، وبعد ذلك أصبح وزيراً ولكن ليست له أية علاقة بالدائرة التي كان يستلمها، واستلم بعد ذلك عدة وزارات .

كم هو مؤسف أنه لم يستلم الوزارة المسؤولة عن الدائرة التي كان قد اسلمها فيما مضى .

ربما لو استلمها الآن لكان باستطاعته إصلاحها . ومع ذلك فقد فرحت المنصب الجديد . فهو إن لم يستطع إصلاح الوزارة فقد استطاع على الأقل إصلاح وضعه .

عندما قرأت خبر استلامه للوزارة لم أنس أن ارسل له برقية
تهنئة كتبت فيها « يا سيدي الولد ، اهنئك على منصبك الجديد » .

فكتب لي رسالة يرجوني فيها أن اذهب الى أنقرة من أجل مقابلته .
ذهبت إليه فعينني في الوزارة براتب قليل حوالي الف وثمانمائة ليرة ،
إنه راتب ضئيل ولكن لا أعمل بعد الظهر ، ولا أحد يسألني إن ذهبت ام
لم اذهب . ولكن عندما لا يكون عندي في البيت أي عمل ماذا سأفعل في
البيت ؟ أفضل شيء أن اذهب الى الوزارة على الأقل من أجل التسلية .



كيف قمنا بالثورة

حقيقة ، لو كنتم منصفين قليلاً ، لأدرتكم واعترفتم ، بأننا
الأصحاب الشرعيون للسلطة الحالية . وأما عن سبب عدم تواجدها في
السلطة وفي إدارة دفة الحكم فهذا يرجع لسوء حفظنا من جهة ، ولخطأ
بسيط ارتكبناه من جهة أخرى .

لقد قمنا بالثورة واستلمنا السلطة ، ولكن ، مع الأسف ، لم يسمع
بثورتنا أي إنسان ، وكما هو معلوم ، لا يمكن أن تنجح ثورة ما وتستمر
ما لم تسمع بها الجماهير العريضة .

فكروا قليلاً واستنتجوا ، كم هو مأساوي موقفنا ، في ليلة واحدة
قمنا بالثورة وسقطت السلطة في أيدينا ، ولكننا لم نستطع إخبار أحد من
الجماهير باستلامنا للسلطة .

تقوا تماماً بأننا حسبنا كل شيء بدقة تامة ، لدرجة أننا أخذنا بعين
الاعتبار أصغر الأمور وأقل الاحتمالات ، كما أنني واثق من أنه لم تدرس
ثورة قامت قبل هذا التاريخ مثلما درسنا ثورتنا ، إذ أنها تمت دون
أخطاء . غير أننا نسينا أمراً بسيطاً للغاية . . . النظر الى التقويم . نعم ،
لو أننا نظرنا الى التقويم لما غاب عن أذهاننا بأننا في منتصف شهر تموز .
ويعني ذلك أن الجو في هذا الوقت بالذات سيكون ماطرأ في أوغريكا ،
ربما يكون الهيجان والإضطراب الذي أصاب الأصدقاء الذين في لجنة
قيادة الثورة هو الذي منعنا من الاستماع للنشرة الجوية من الإذاعة .
ولم نفكر بالإتصال بإدارة الأرصاد الجوية لمعرفة أحوال الطقس .

هل تعلمون ماذا يعني هطول الأمطار ولو بشكل طفيف في أوغريكا
في منتصف تموز؟! إنه يعني توقف الحياة والشلل التام للبلد . . . حالما

تهطل أول قطرة ماء من السماء . تتعطل الإذاعة وشبكة الهاتف وتقطع الماء والكهرباء والغاز وتتعطل حركة البواخر والطائرات والطائرات والباصات والسيارات . ولكننا ولسبب وجيه وجدنا أن الفرصة سانحة للقيام بالثورة في منتصف شهر تموز ، وهذا السبب هو الحرارة العالية التي تعم أنحاء أوفريكا مما يجعل عاصمتنا متراك بوليس خالية من السكان إلا من بعض الفقراء الذين يبحثون عن لقمة العيش . أما الوزراء ورجالات الدولة والشخصيات المعروفة في أوفريكا وعائلاتهم المحترمين الذين لا يحملون حرارة الطقس ، فهؤلاء يذهبون إلى المدن الجبلية أو إلى المناطق الريفية ولا يبقى أحد في الدوائر الحكومية المتواجدة في متراك بوليس عاصمة أوفريكا إلا بعض البوابين النائمين على كراسيهم أمام كل دائرة . أي أن الدوائر الحكومية تكون حالية تماما . في وضع كهذا لا يبقى على الثوار ، كي يستولوا على الحكم ، إلا فتح الغرف والدخول إلى الدوائر . يستطيع كل مواطن في وقت كهذا - إن كان يشعر بالملل - القيام بثورة . إذ يكفي أن يقول « هيا يا أصدقاء لنعمل ثورة » .

ما زالت الدهشة تصيبني . كلما تذكرت ما حدث ، فكيف نحسب كل شيء وننسى هطول المطر في منتصف شهر تموز في أوفريكا ... أي حماقة هذه يا إلهي !

وزعت المهام على أعضاء الثورة كما يلي : أنا والعميد عبد الحجاب والملازم أول عبد البوتل سيهاجم الإذاعة . الفريق أول حسين ماتراكي باشا مع ثلاثة من أصدقائه سيهاجمون مطعم الطعام اللذيذ ، القائمقام محمد مرديباني مع أربعة من أصدقائه سيهاجمون مركز البريد وغرف أروم المدرسة الثانوية الداخلية للبنات . أما الهجوم على الملعب البلدي والسليخ فقد كلف به خيام باشا وفرقته العشارية .

بإختصار ، وزعنا مهام الإستيلاء على المراكز الحساسة على أعضاء مجلس قيادة الثورة . ولم ننس أن نكلف موظف سرية التأديب كورحميد

/ متقاعد الآن / بمهمة الإستيلاء على السجن . وذلك كي يؤمن الاماكن المتنازعة في السجن لأعضاء قيادة الثورة إذا ما فشلنا بمهامنا . اي اننا أخذنا ادق الامور وأصفرها بعين الاعتبار .

وفي ساعة الصفر ، تحركنا للإستيلاء على الدوائر الحكومية ، قال العميد شهاب الجناب ، وهو من مجلس قيادة الثورة « يجب الـ نستولي على المصرف المركزي » . ولما سأله الفريق أبو الفضال « لماذا ؟ » . أجاب « كي لا نهدر فواتنا بتوزيعها على أماكن عديمة النفع » . وعندما قبيل هذا الإقتراع تراجعنا عن فكرة الإستيلاء على الاماكن عديمة النفع مثل . وزارة المالية ، البلدية ، الدوائر العامة مثل النفوس والإحصاء ، وبعد أن أحصينا الدوائر عديمة النفع في بلدنا لم يبق أية دائرة ذات فائدة تستحق الهجوم عليها . فقال العميد أبو الحجاب « إذا كنا لا نريد الإستيلاء على الدوائر الحكومية بحجة أنها عديمة النفع ، فلنتراجع عن القيام بالثورة » . فقال القائمقام بهلول : « يا أصدقاء يجب الـ نسى أننا نقوم بهذه الثورة لأن دوائرنا الحكومية لا تنفع لأي شيء » وبذلك حددنا الهدف الذي ستقوم الثورة لأجله .

اتفقنا على أن يتصل الأصدقاء بي هاتفياً فور استيلائهم على الدوائر الرسمية ، وأنا بدوري سأخبر أهالي أو فريكا بنجاح الثورة عن طريق الإذاعة . وقد كلفني الأصدقاء بمهمة الحديث الإذاعي لخشونة صوتي .

وعندما قررنا التحرك قال الملازم أول ابن البوّل « لنر إن كان الأمريكيون موافقين على قيام هذه الثورة . لأن احتمال نجاح أية ثورة لا يرضى عنها الأمريكيون معدوم » . فقررنا إثر ذلك تشكيل لجنة رباعية مؤلفة مني أنا شخصياً وثلاثة من الأصدقاء ، وذهبنا لمراجعة السفير الأمريكي .

عندما دخلنا الى السفارة شاهدنا خمسة أشخاص يخرجون من مكتب السفير ، فاعتقلناهم على الفور ، ولولا اعتقالنا لهم لقاموا بالثورة

قلنا واستلموا الحكم . استقبلنا السفير استقبالاً لائقاً . قال صديقنا الذي يتكلم اللغة الأمريكية « يا شباب . مصيبة وقعت على رؤوسنا . لا أستطيع تذكر معنى كلمة ثورة باللغة الأمريكية . أوجد بينكم من يعرف ؟ » . في الحقيقة ، كنت أعرف معنى كلمة ثورة باللغة الأمريكية ولكنني نسيتها بسبب الإضطراب الذي أصابني ، قلنا للسفير أننا نوي القيام بشيء ما . ولكن لم نستطع شرح ما هو هذا الشيء . وحينما حاولت أن أشرح له معنى كلمة ثورة بإشارات من يدي ، فهم إشاراتي فهماً خاطئاً وغضب كثيراً . المهم أننا استطعنا بعد عناء أن نشرح له مراننا . فقال السفير : « إن نجحتم سندعمكم وإن فشلتم فإننا سنواصل دعمنا للحكومة الحالية » .

بعد أن أخذنا موافقة الأمريكان توزعنا على أعمالنا من أجل إتمام السورة .

دخلنا الى مبنى الإذاعة ونحن نهر أيدينا الى الامام والى الخلف لاننا لم نواجه بأي مقاومة . وبدانا ننتظر الأخبار التي ستصلنا من الأصدقاء بواسطة الهاتف .

مرّ على موعد الإتصالات ثلاثة ساعات ولم يأتنا أي خبر فأصبنا بالقلق والإضطراب . لاننا إذا افترضنا أنهم اعتقلوا أصدقاءنا فيجب أن نعرف أنهم سيهاجمون الإذاعة ويعتقلوننا ايضاً . فقررنا بناء على ذلك أن نجيب على قوات الحكومة إن سألونا : « ماذا تفعلون هنا ؟! » بأننا نريد تقديم حفلة موسيقية ونريد أن نعرف بعض الأناشيد الوطنية . ولكننا هنا ايضاً اكتشفنا مصيبة جديدة إذ لا يوجد بيننا من يتقن عزف آلة موسيقية . ومع ذلك فقد بحثنا في الغرف وأحضرننا الآلات الموسيقية الموجودة فيها .

أنا ، وجدت طبلًا فأحضرتة وبدأت أتدرب عليه ووجد أحد الأصدقاء دفًا ، وآخر لا اعرف اسمه وجد برفًا .

قلت للعميد أبو الحجاب :

– اذهبوا واستقصوا الأخبار ، ترى ، هل استولى الأصدقاء على السلطة ؟!

مشى العميد بخطوات عسكرية وغاب في عتمة الليل ، ولم يعد بعد ذلك . ولما لم يأت منه خبر أرسلت الملازم اول ولكن الآخر لم يعد أيضاً . صرت ارتجف خوفاً من احتمال فشل الثورة . لقد وجدت أفضل حل هو الذهاب الى السلطة وإخبارها بإندلاع الثورة وبذلك اكون قد أنقذت نفسي . وأنا في هذه الدوامة قال لي آخر من بقي معي من الأصدقاء :

– لا شك ان الأصدقاء استولوا على الحكومة في هذه الساعة .

يجب عليك إخبار المواطنين بواسطة الإذاعة بإستيلائنا على السلطة كي لا تحصل اية تغيرات تؤدي الى حدوث الإضطراب عند السكان .

فقلت :

– إن إذاعة خبر كهذا ، في غاية السهولة ، ولكن ماذا سنفعل إن تم اعتقال أصدقائنا وأودعوا في السجن ، ان يكون اعلاننا عن الثورة شيء مثير للضحك ؟

بعد قليل انقطع التيار الكهربائي ، فظننت انه قد حدث تماس في الدارات ، ولكننا فهمنا بعد ذلك ان التيار الكهربائي قد انقطع فعلاً .

نزلت الى الشارع فلم أرى أي ضوء في المدينة ، ولم أجد أية واسطة نقل ، فاضطرت للذهاب الى مجلس الوزراء مشياً على الأقدام . وجدت هناك العميد أبو الفضال . فسألته :

— ماذا حدث يا أبو الفضال ؟

فأجاب :

— لقد اعتقلتهم .

فقلت :

— من ؟! الملك ؟!

— كلا . لقد اكتشفت لجنة ثورية أخرى تحاول قلب الحكومة ، كانوا ينوون القيام بثورة في هذه الليلة . فاعتقلتهم قبل أن اعتقل هيئة أركان الحكومة . لأنه يتوجب علينا ألا نسمح لأحد بأن يسبقنا للقيام بالثورة .

فهمت فيما بعد ، من الأخبار الواردة إلينا . انه تم اكتشاف أربعة لجان ثورية ، غير لجنتنا . وكلهم كانوا يحاولون القيام بالثورة في نفس الليلة .

قلت للعميد زهروي :

— لم لم تخبروني عن نجاح الثورة بواسطة الهاتف ؟!

فقال :

— وكيف سنخبرك والهواتف معطلة ؟

— كان يتوجب عليكم عدم قطع كل الهواتف .

— نحن لم نقطعها . هطلت في المساء . بضع قطرات من المطر أدت الى قطع الخطوط الهاتفية .

– ألم تستطيعوا إرسال أحدهم بالسيارة؟!

– نقول لك : هطلت الأمطار . . . ألا تفهم ؟ ألا تعرف ان حركة السير تتوقف في أوفريكا بشكل كلي عندما تهطل الأمطار .

– حسناً ، وماذا سنفعل الآن ؟ جماهير أوفريكا لم تسمع بإستلامنا للسلطة .

بسط العميد زهروي خريطة الحركة فوق الطاولة ووضع فوقها أحجار الشطرنج وخاطب أبو الفضال قائلاً :

– لقد شلّ تفكيري ، ولن أقوى على التفكير قبل أن العب قليلاً بالشطرنج ، ففضل الى رقعة الشطرنج يا سيدي العميد .

أما بالنسبة لي ، فقد استلمت الطريق متجهاً الى دار الإذاعة من أجل إخبار الجماهير بإستلامنا للسلطة . وفي الطريق قابلت المقدم حبيبي ، كان يضع المسكين حذاءه تحت إبطه كي يستطيع السير في وحل انطريق ، عندما رأي بادر قائلاً :

– انظر الى هذا المنظر ، لقد أجبرونا على القيام بالثورة .

وبعد ذلك أخبرني بأنه استولى على وزارة المالية وعلى الخزينة . غير أنه وجدها فارغة فتركها دون حراسة واستولى أيضاً على وزارتين أخريين .

وقال الفريق خيام باشا :

– لو كنت أعلم بأن القيام بالثورة سهل لهذا الحد لما انتظرت كل هذه السنين . بل كنت قمت بثورة منذ كنت برتبة وكيل ضابط ، ورفعت نفسي مباشرة الى رتبة مشير .

بدأت بترديد نشيد « أمن السهل خداع شعبي ؟ » مع الأصدقاء الذين التقيتهم في الطريق وذهبتنا سوية الى دار الإذاعة .

بدأت أتكلم بصوتى الأجنس معلنا نبأ قيام الثورة للأوفاكيين .
فقال القائمقام :

– إنك تصرخ دون فائدة . يوجد عطل فني في محطة الإذاعة بسبب هطول المطر .

– حسنا . ولكن كيف سنخبر المواطنين بأننا استولينا على السلطة ؟ من غير المنطقي إخبار المواطنين فرداً فرداً .

فقال أبو الحجاب :

– لقد عادت الخطوط الهاتفية للعمل . لنخبر بعض الأفراد بواسطة الهاتف وهم بدورهم يخبرون الآخرين .

وعلى الفور طلب رقماً لا على التعيين . وبدأ يتكلم يجب على كل عضو من أعضاء مجلس الثورة أن يكون تحت المراقبة ولهذا فقد أمسك كل منا سماعة الهاتف وبدأنا نستمع للحديث الهاتفي الذي يجريه أبو الحجاب .

قال ابو الحجاب :

– نحن أعضاء مجلس قيادة الثورة .

فسأله الصوت النعسان :

– ماذا ؟ مجلس ماذا ؟

وبعد ذلك جرت المكالمة التالية بينهما :

— لقد استولينا على الحكم .

— يا إلهي ... الله يوفقكم ... كم انتظرنا شخصاً ما ليقلب هذا النظام ويخلصنا من مصائبه ... من أنتم ؟

— أنا العميد أبو الحجاب من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، نريد أن نخبركم باستيلائنا على الحكم ، نرجوا أن تخبروا أصدقاءكم .

— من أين تتكلمون ؟

— من دار الإذاعة ، ... ومن أنتم ؟

— أنا الصدر الأعظم مختار باشا .

فقال العميد أبو الحجاب « من ن ن ... ؟ » . وسقط مغمياً عليه .

لقد حدث تماس في خطوط الهاتف فبدل أن يطلب أحد المواطنين طلب الصدر الأعظم وأخبره بقيام الثورة .

قال الملازم أول محمد :

— يا لسوء طالعنا ، لن يسمع أحدٌ ياستلامنا للسلطة .

فقال خيام باشا :

— دعك من هذا .. بعد قليل سيأتون لإعتقالنا .

فسألتهم :

— ولماذا لم تعتقلوا الصدر الأعظم ؟ .

فأجابوا :

— لأن السيارات لم تستطع السير بسبب المطر .

وبعد ذلك افترقنا وذهب كل واحد منا الى وظيفته . ذهبت الى مكتبي في وزارة الدفاع . وغبت بين الأوراق والملفات . وبعد برهه طلبني السيد المدير الى مكتبه وقال لي :

— يؤكد التقرير الذي قدمه مخبرنا السري انه لولا هطول المطر لبله أمس لاستطاع الثوار الإستيلاء على السلطة وقلب النظام الحاكم . هذا هو التقرير . أريد تحقيقاً كاملاً حوله .

سألته :

— هل نعتقلهم ؟

فصرخ السيد المدير قائلاً :

— ولماذا ؟ بالعكس تماماً ، سنتصرف كما لو أننا لم نسمع بأي شيء . فقد ينجحون في المرة القادمة وينقذون البلد من مصائب هذه السلطة الحاكمة ولكن لا ننسوا تجهيز الطائرات التي سنهرب فيها .

ما قد مضى على قيامنا بالثورة خمس سنوات ، حقيقة ، يجب أن تكون قيادة البلد لنا ، لأننا نحن الذين قلبنا الحكومة القديمة واستولينا على الحكم . ولكن ما نفع استلامك للسلطة ما لم تسمع بك الجماهير .

يا لنسعب أوغريكا المسكين . إنه يعتقد بأن الحكومة التي تحكمه حقيقية ، ولا يعرف بأنها مزيفة ، لأن هذه السلطة قد قلبت منذ خمس سنوات .

وصيتي الأخيرة لكل الذين يريدون القيام بالثورة في أوغريكا ، أن يختاروا ليلة غير ماطرة وأن يخبروا الحكومة بشكل سري عن عزمهم على القيام بالثورة .

لن ننتخب عمر آغا

طرق باب الدار في ساعة متأخرة من الليل ، لا اعتقد بأنني كنت سأستيقظ وقتئذ لو لم توقظني زوجتي ، لأنني كنت متعباً جداً . فقد ذهبت في الصباح الباكر الى الجبل لاحتطب وعدت في المساء كنت متعباً فتمت كالميت الذي توارى تحت التراب ، فلو ضرب المدفع مقابل أذني لن أسمعه أو أشعر بوجوده .

قفزت وقلت :

— من هذا ؟

فقال زوجتي

ولك يا رجال هل منيت ؟ إنني أوحرك منذ الصباح ولا تستيقظ ، ابهض وانظر من يطرق الباب .

فقلت بصوت كسول وأنا أمد رأسي من النافذة :

— من هناك ؟

فسمعت صوت سيد الأعرج يقول :

— نحن ... افتح يا أخي افتح .

عندما وصلت الى الباب رأيت ثمانية من رجال القرية قد جمّعوا

أنفسهم وأتوا الى بيتي .

— تفضلوا ... ماذا حدث في هذا الوقت يا أخوان ؟

— ١٢٩ — كيف قمنا بالثورة م-٩

قال سيد الاعرج :

... لا نستطيع الدخول . اردنا اعلامك فقط . لقد اجتمعنا هذه
الليلة . وقررنا بالإجماع بالآتي ندلي بأصواتنا لصالح عمر آغا في الانتخاب
مختاراً للبيعة . ماذا تقول حول هذا الموضوع ؟

قلت :

... لا إله إلا الله و لك الم نجمع في الأمس وتوصلنا الى قرار مشترك
حول هذا الموضوع ؟

... هذا صحيح . ولكننا احببنا ان نذكرك كي لا تنسى .

... الم تستطع الانتظار حتى الصباح يا سيد الاعرج ؟

... وهل يؤجل أمر كهذا حتى الصباح ؟ فقد يأتي أحد رجال عمر
آغا ويجعلك تتراجع عن قرارك .

... وهل بقي في هذه القرية رجل! لعمر آغا يأتي إلي ؟ الم تجتمع
القرية بأكملها ضده ؟ لقد أصبح قريباً ووحيداً . هيا ادخلوا واستريحوا
قليلاً ...

... يجب ان نمرّ على بيوت اخرى .

قالوا هذه الكلمات وانصرفوا .

لا نعرف هذا الرجل الذي يدعى عمر آغا إلا مختاراً لهذه القرية،
ولا احد إلا الله ونحن يدري ، بما قاسيناه منه . ولهذا فقد قررنا
شيئاً وشيئاً :

... نموت ولا ننتخب عمر آغا .

كان هذا حديث الساعة في كل انحاء القرية . في البيت وفي المقهى .
في الصباح وفي المساء نتحدث وتناقش ونجدد القرار :

— لن ننتخب هذا النذل عمر آغا .

اتفقنا أن ننتخب ابن الفراء نوري افندي ، لانه رجل خفيف الظل
تدخل محبته الى القلب بسرعة وحديثه رائع جداً ، إنه رجل بكل
ما تحمله هذه الكلمة من معنى متعلم ويعتبر من أكفأ موظفي النفوس في
المنطقة . والده متوفي وقد أتى السنة الماضية الى القرية كي يصبح
صاحب اراضٍ واطيان ومواشي ، بإختصار حسب كل المقاييس المعروفة
لا يمكن أن نجد شخصاً أهمل لمنصب المختار أفضل منه .

كان نوري افندي كلما رأى ثلاثة أو أربعة رجال في الجامع أو في
الساحة أو في المقهى يتكلم قائلاً :

— ايها المواطنين الكرام يا أبناء بلدي الاعزاء ، سأطبق الديمقراطية
في قريتنا . . . كان العسل يسيل مع كل كلمة تخرج من فمه ، وكانت
خطاباته أشبه ما تكون بتلك التي نسمعها من المذيع ، وأما عمر آغا فقد
كان رجلاً لا يحرك ساكناً ، حتى عندما نتكلم أمامه فقد كان الكلام
يصل الى اذنيه ومع ذلك لا يتكلم .

كنا نجتمع كل يوم ونقرر ، لن ننتخب عمر آغا ، وعندما نذهب الى
بيوتنا نكتشف أن هذه الاجتماعات لا تكفي فنذهب الى البيوت في أوقات
متأخرة من الليل لنبلغ سكانها نفس القرار ، لو أنني لم أتم تلك الليلة
لذهبت لاخبرك نفس القرار وإذا لم تتم أنت تذهب الى بيتي . هذا من
جهة ، ومن جهة أخرى أنا شخصياً أشفق كثيراً على خطابات المسكين
ابن الفراء نوري افندي ، يا سيدي أقسم لك بأن قرية كهذه لا تصلح
لخطاباته ، لا أشك مطلقاً بأنه يستطيع قلب حكومة بأكملها بخطاب واحد
إذا ما ذهب الى انقرة ، المهم أننا أقسمنا بأبائنا وأمهاتنا وبأطفالنا
وبزوجاتنا ، وتماهدنا على أن نموت ولا ننتخب عمر آغا .

قبل الانتخابات بيومين طرقت باب بيتي في ساعة متأخرة من الليل
فكنت ان سيد الأعرج قد عاد من جديد . فمددت رأسي من النافذة
وقلت :

— فبست يا بني ، ان نتحدث الخنزير عمر اغا .

فاسمعت صوتاً نادى :

عمي خضر ، افتح الباب ، افتح

يا امي ان هذا الصوت لرجل آخر . فتحت الباب فوجدت ان اح
عمر اغا .

لقد ارسل عمي عمر سلاماً خاصاً لك .

فقلت :

— بوي طفف . . .

جمال الطفل .

— قال لي عمي عمر اذهب الى عمك خضر وقل له إذا كان يريد أن
يكسب الدعوى التي بينه وبين فوجور مستوفوا لصالحه . فليذهب غداً
مضى الى المنطقة لأنني وجدت له محامياً كفاءاً ، وقل له ألا يفكر بالتقود .

— عندما سمعت عبارات « دعوى ، فوجور مستوفوا ، المحامي »
شردت بعيداً .

فوجور مستوفوا من الد أعدائي . يا أخي إن هذا الرجل خالي من
الدين والأخلاق إنه يريد ربط حمارة عند حدود حملنا ويقطعه من أزهار
الربان . وقد تكرّر هذا السيل تدّة مرات . ولا تكفيه ذلك بل يمت ولده

الى مخزننا ليسرق الطحين ، وحتى إن أمسكناه فلن نستطيع فعل أي شيء معه لأنه قوي جداً . ولا أحد في القرية يقدم المساعدة لجاره ... آخ لو استطيع أن أتخلص من غوجور مستوفاً بمساعدة عمر آغا .

حسن ، ولكن إذا ذهبت غداً الى بيت النذل عمر آغا لا أشك بأن الرجال سيبصقون على وجهي .

قال الطفل كأنه شعر بما أفكر به .

— قال عمي عمر ، لينتظرنى غداً قبل الظهر بجانب جدار البئر القريبة من المقبرة .

فقلت للطفل :

— سلم لي على عمك عمر آغا ...

شرحت لزوجتي ما جرى بيني وبين هذا الطفل فقالت :

... وهل تؤجل عملاً كهذا ، غداً صباحاً ، إذهب وخذ حقنا من غوجور مستوفاً .

لم استطع النوم في تلك الليلة حتى الصباح ، مع بزوغ نور النهار مشيت على الطريق عدة خطوات فرايت كورمورسال قادم وهو يحمل والدته على نقالة ، سلمت عليه قائلاً :

— الى أين يا مورسال ؟

— الى البلدة .

— وماذا ستعمل هناك ؟

— سأخذ أمي إلى الطبيب ، وأنت ؟

— أنا أيضاً ذاهب إلى البلدة .

— ماذا ستعمل هناك ؟

بماذا يرد الإنسان على تساؤلات هذا السافل الذي يسأل وكأنه
الفاضي ؟

— رفعت دعوى ضد فوجور ، وستوفاء ، وسأوكل محامي .

وما إن مشينا قليلاً حتى رأينا بكر اغا يركب حماره ، وبجانبه
تسير زوجته وبشمسي ولده خلف الحمار . أت .

— خير إنشاء الله . إلى أين ذاهب في هذا الوقت المبكر يا بكر اغا؟

— إلى البلدة .

— ماذا ستعمل هناك ؟

معد شمرين اخذت زوجتي إلى الدكتور فكتب لها على دواء واكتنا
لم نستطع شراؤه لقله ثمنه ، الآن سأذهب لشراؤه .

— والى أين تأخذ زوجتك ؟

— أفعد تشاجرت البارحة مع روجة حنفة وقد رفعت دعوى
ضدها .

— والطفل ؟

— إنه يخرج ديداناً مع برازه ، سأعرضه على الطبيب ، وأنتم

نحن أيضاً شرحنا له وضعنا ، وصلنا الى البئر حوالي خمسة عشر او عشرين شخصاً وكلهم إما مدعى او مدعى عليه . إذ لا يوجد في قريتنا اي رجل لم يتشاجر مع جاره او مع قريبه وعندما وصلنا الى البئر وجدنا سكان القرية مجتمعين هناك حتى سيد الاعرج كان هناك .

سألته :

— ما هي اخبارك يا سيد ؟

فقال :

— سأوكل محامي ، لقد رفعت دعوى ضد شوكت .

امر هذه القرية محير فعلاً ، هل أجل الجميع امراضهم ودعاويهم الى هذا اليوم ؟

حتى غوجور مستوفاً كانت سيجارته بغمه وكان واقفاً بجانب البئر . فقلت لسيد :

— ماذا يفعل هذا القواد هنا ؟

قال :

— إنه يقول انه مدعى عليك . ويريد ان يوكل محامي ضدك .

كنا صامتين مطاطئين رؤوسنا حين جاء عمر آغا . يا إلهي كيف سأذهب مع عمر آغا امام أمين أبناء قريتي ؟

اقرب عمر آغا منا وقال :

— السلام عليكم يا اغاوات .

قلنا بعدم اكتراث :

... وعليكم السلام .

... هل العدد كامل ؟ الجميع موجودين ؟

... نعم .

... سعد على جدار اليسر . نظر إلينا وقال :

... العدد غير كامل . انظروا قليلا .

... انظرونا حوالي خمس دقائق أو أقل وإذ بابن الفراء نوري افندي

... قائم من بعيد ، سلم علينا .

... قال له عمر آغا دون أن ينظر إلى وجهه .

... هل أنت ؟

... نعم آخيت .

... استدار نحونا وقال :

... هيا اتبعوني ...

... وتبعنا هذا الخنزير المسمى عمر آغا ، كنا حوالي الثلاثين أو أربعين

... شخصا بين نساء ورجال وأطفال وحمير . منهم من تحمل طفلها ومنهم

... من يحمل مريضه على كتفه .

... فلت لنوري افندي الذي يمشي بجانبني :

... إلى أين نحن ذاهبون يا سيدي ؟

فقال :

انا ذاهب لانه لدي عمل في دوائر الدولة .

شيء عجيب فعلا ، كل هؤلاء المترارين موجودين ومع ذلك لا يوجد أي صوت خارج منهم . دخلنا الى البلدة مثل عربة يجرها حمار وكان عمر آغا في المقدمة . توقف عمر آغا رفع أنفه نحو السماء وأخرج مسبحته من جيبه وتابع سيره أمامنا .

وعندما وصلنا الى الجامع قال :

... انتم انتظروني في الساحة ، بكر آغا تعال ...

ثم قال لي « تعال » ذهبنا ثلاثتنا واما البقية فقد انتظروا في الساحة . دخل عمر آغا الى مكتب المحامي بصري بيك ودخلنا وراه ، وقفت انا وبكر آغا مشبكين أيدينا أمام بطوننا وبدانا نستمع للحديث الذي يجري ، قال عمر آغا :

... السلام عليكم .

وجلس على أول كرسي ، وتابع :

... يا بصري بيك إننا نقاسي كثيرا من رجال الاحزاب المعارضة .

فقال بصري بيك :

... قريبا إنشاء الله ، سنضع اللجام على ذقونهم ونقطع اصواتهم وانفاسهم .

ثم تابع متسائلا :

... ما هو موقف حزبنا في قريبتكم ؟

— ما معنى هذا ؟ وهل يستطيع أهل قريتي انتخاب أحد آخر ما دمت أنا موجوداً بينهم ؟

— شكراً .

— عندما أكون موجوداً ، دع كل الأمور لي ولا تفكر بأي شيء .

فسأله بصري بيك :

— من أي قرية أنت ؟

— من قرية يان إي ، سكان القرية جميعهم من حزبنا .

وبعد ذلك ناقشوا أمور الحزب ، الساعات تمر بسرعة ، هل أتينا إلى هنا من أجل الثروة ، همس بكر آغا بأذني قائلاً :

— لقد نسي الدعوى ، إنه يناقش أمور الحزب .

لفت نظري ورقة ملصقة على الجدار مكتوب عليها « إجرة المحامي ٢٠ ليرة » تحدثوا عن كل شيء وبعد ذلك قال عمر آغا :

— اسمح لنا ، إننا نريد الانصراف .

— فقال المحامي :

— أرجوا أن تعملوا بجد ونشاط .

— لا تهتم بأي شيء ما دمت موجوداً .

نظر إلى وجه بكر آغا وقال وكأنه تذكر شيئاً مهماً :

— آآ... صحيح... قبل أن أنسى ، هذا الرجل الفقير ، إنه من أعضاء حزبنا النشيطين ، يريد أن يرفع دعوى ضد أحد المعارضين الاندال لأنه يضايقه كثيراً ولكنه فقير جداً ، ولا يملك نقوداً .

- لا تهتم لامره ، إن من شئنا استلام قضايا أعضاء حزبنا .

- شكراً لك ، ولكنه لا يملك نقوداً تغطي تكاليف الحمامة .

ضحك بصري بيك وقال :

- اسمح لي بهذه الخدمة ... أنا سأدفع النقود .

استدار عمر آغا نحو بكر وقال :

- الله الوفق ، ها هو الأستاذ المحامي سينظر في قضيتك ، ابق هنا

تركه هناك وخرج ، أنا لم أفهم أي شيء ، فكما أعلم ويعلم الجميع
أن بكر آغا لا يتعاطى السياسة ولا يفهم بالأحزاب .

وعندما خرجنا قال لي عمر آغا :

... اركض ونادي السيد الأعرج ، ليأت الي حالا .

ناديت السيد الأعرج ، أخذنا هذه المرة الى مكتب محامي مسن
الأحزاب المعارضة ، سلم وجلس على أول كرسي في المكتب ، وأما نحن
فقد شبكنا أصابعنا أمام بطوننا وبدأنا نستمع . قال عمر آغا :

- إننا نقاسي كثيراً من السلطة الحاكمة يا استاذ . لقد شربت
دماء الشعب ، لا يمكن ان يمر على البلاد أنذل من هذا الحزب .

وكان المحامي ينتظر كلاماً كهذا فيبدأ نقاشاً حامياً حول الحزب
الحاكم ، قال المحامي :

- ما هو وضع حزبنا في قرينكم ؟

— قوي جداً ، إن جميع سكان قريتنا ضد الحزب الحاكم ، ولتكن
واثقاً بأن حزبنا سينجح بالانتخابات الحالية ما دمت موجوداً ، يكفي
ما قاسيناه .

فقال المحامي :

— عندما نستلم السلطة سنقلع السنثم من جذورها .

وبعد أن ناقشوا أمور الحزب وتحدثوا كثيراً هم عمر آغا بالنهوض
قائلاً :

— لا يمل من الجلوس معك ، اسمح لنا ... وفجأة وكأنه تذكر
شيئاً مهماً قال :

— صحيح ... كنت سأنسى . أشار إلى سيد الأعرج وتابع قائلاً :

— هذا الرجل الفقير ، من رجال حزبنا الصادقين ، لقد قاسى كثيراً
بسبب أحد رجال الحزب الحاكم ، ويريد الآن أن يرفع دعوى ضده ،
ولكنه فقير ولا يملك ما يسد به رمقه .

فقال المحامي :

— سننظر بأمره ، إنه عملنا .

— لكنه لا يستطيع أن يدفع تكاليف المحاماة .

— دمك من ذلك .

فقال عمر آغا لسيد الأعرج :

— لقد سارت أمورك على ما يرام ، أذع للاستاذ والعمل بنشاط من
أجل حزبنا ابق هنا كي ينظر بوضعك .

وعندما خرجنا قال لي :

— نادي لمرضى وتعال :

ناديت له وحضرت ، هذه المرة ذهبنا الى عيادة طبيب الأسنان ، وكان
ضرس مرتضى يؤلمه كثيراً . لقد ورم خده حتى أصبح كالطبل .

كان طبيب الأسنان أحد المرشحين عن حزب من أحزاب المعارضة
وبدأ يقذفان الشتائم على الحزب الآخر . . .

تركنا مرتضى هناك إذ أن الطبيب تمهد بقلع ضرسه ومعالجته
دون أي مقابل . أخذنا والدة كورمورسال الى الطبيب الذي كان من
أعضاء الحزب الحاكم اتحد مع عمر آغا وبدأ يقذف الشتائم على أحزاب
المعارضة وبعد ساعات فتح موضوع علاج والدة كورمورسال فقال
الدكتور :

— على راسي . ولكن لا تتحدث عن النقود أبداً .

وهكذا سارت كل الأمور ، وأخذ العلاج من الصيدلية مجاناً ، وأنا
ما زلت قلقاً بخصوص الدعوى التي سارفعها ضد غوجور مستوفا .

قال :

— نادي غوجور مستوفا .

أخذني وعدوي الى مكتب محامي آخر . ولعب نفس اللعبة ، وقبل
ان يخرج أشار الى غوجور مستوفا وقال :

— هذا الصديق من انصارنا ، إنه رجل فقير وغريب ، لقد وقعت
بينه وبين أحد المعارضين الأندال مشكلة كبيرة .

ما هذا يا... إنه يصفني بالندالة هكذا، امامي ودون أي خجل...

تركنا فوجور مستوقفاً هناك ودخلنا إلى مكتب محامي آخر ، وهنا أشار نحوي قائلاً :

— إنه من أعضاء حزبنا الفعّالين ، ولكنه قاسى كثيراً من أحد أعضاء الحزب الحاكم الخنازير .

وبإختصار ، تركني هناك ، أخرج المحامي النقود من جيبه وعمل سند وكالة ، وقدم لي الطعام .

رجعنا إلى القرية . وفي اليوم التالي جرت الانتخابات .

ذهبنا إلى الصناديق وانتخب عمر آغا كل رجل قال :

— لن ننتخب عمر آغا .

لقد فاز عمر آغا في الانتخابات ، وبيع نوري أفندي صوتاً واحداً فقط ، اعتقدنا أنه صوت نوري أفندي ذاته .

ولكن ابن الفراء نوري أفندي قال :

— أقسم بالله اني أعطيت صوتي لعمر آغا .

فقال عمر آغا :

— أمان يا ربّي... أنا من أعطى صوته لنوري أفندي... ألم نتفق نحن أهل القرية على أن نعطي أصواتنا لنوري أفندي... لقد وجدت أن الخروج عن رأي الجماعة عمل غير لائق... ولهذا أعطيت صوتي لنوري أفندي .

لقد انتخبنا عمر آغا مختاراً على قريتنا ونحن ننادي « لن ننتخبه... لن ننتخبه... » وفي النهاية لم يثبت على موقفه أي رجل في قريتنا سوى عمر آغا .

البيان الذي تعامله كالعروس

- قال :

أنا أحب الأتراك جداً .

تعتبر هذه العبارة من أكثر العبارات التي تسعد الأتراك الذين يعيشون في الخارج خصوصاً عندما تخرج من فم أحد المشاهير الأجانب . وبالأخص عندما تخرج من فم عازف البيانو الشهير (جوليو كاتشين) الذي يعتبر الأشهر في العالم في هذا المضمار .

تكاد تطير فرحاً ، يا له من رجل رائع ، كم أود حضنه وتقبيله على وجنتيه ما دام يحبنا جداً ، فهل سيقبل إذا ما دعيناه الى استنبول من أجل تقديم حفلة موسيقية يقول سكرتيره :

- لديه أعمال كثيرة خلال هذا الشهر فهو سيسجل اسطوانة في أوركسترا الفلارموني في اسرائيل ولكن تحدثوا معه لعله يقبل .

طلبنا منه فقال :

- أتشرف بقبول دعوتكم ، سألفي كل مواعيدي من أجل تقديم حفلة موسيقية في استانبول ، فأنا أحب الأتراك كثيراً .

كدنا نظير فرحاً ، كلفني الأصدقاء بتنظيم الاحتفال وحالما وصلت الى استانبول بواسطة الطائرة بدأت بالعمل من أجل التحضير للحفلة فلم أجد مكاناً في دارين للسينما المخصصة لتمثل هذه الحفلات قال صاحب إحداها أنه سيقدم فيلماً محلياً في الوقت الذي ستقام فيه الحفلة والآخر لا يسمح إلا بتقديم الحفلات التي ينظمها بنفسه .

اتفقت مع سينما أخرى مع أنها لا تليق بمثل هذه الحفلة وفور
عقد الاتفاق طبعت الاعلانات ولصقت على جدران الشوارع العامة .

ولكن الهم الأكبر كان بسبب البيانو ؛ إذ أنني لم أجد سوى بيانو
واحد يليق بمثل هذه الحفلة في بلد مثل استانبول يفوق عدد سكانه
الميلوني نسمة . وهذا البيانو موجود في معهد الموسيقى وبناءً عليه فكرت
بأنه من المناسب أن أقابل المدير شخصياً واتكلم معه .

وبعد التعرف على المدير ، اكتشفت أنه كان شرطياً سابقاً أما الآن
فإنه يدير المعهد الموسيقي ويعمل بنفس الوقت مفتشاً في البلدية .

سألت الذي أعطاني هذه المعلومات عن علاقة سلك الشرطة بالموسيقا
فأجابني قائلاً :

— ألا تعلم بأنهم منذ زمن بعيد يسمعون المواطنين على الأغاني
الأوبرالية في مخافر الشرطة .

عندما كنت أذهب لمقابلة المدير في المعهد الموسيقي كانوا يقولون أنه
في البلدية وعندما كنت أذهب الى البلدية يقولون أنه في المعهد ومن يومها
عرفت أنه من الصعب مقابلة شخصاً موظفاً في مكانين وأما الشخص
الموظف بثلاث وظائف فإنه يعتبر من المفقودين .

انظروا الى سوء طالعني إذ لم يصادف أي مرة أن ذهبت الى البلدية
وروجدته أو صادفتني هو في المعهد فلم أجدّه في أي مكان وعندما التقيت
به بعد ستة أيام علمت بما حدث ، فعندما كنت أذهب الى البلدية يكون
هو في المعهد وعندما أذهب الى المعهد يكون هو في البلدية وعندما التقيت به
أيقنت أنني رأيتّه في مكان ما وبعد تفكير عميق تذكرت أنني رأيتّه في
شارع ما .

وبعد أن تحدثنا بمختلف الأحاديث قلت له .

— يا سيدي أنت تعرف جوليو كاتش .

— نعم ، أنا أعرفه ، إنه من أشهر الموسيقيين في العالم .

— من ؟

— كاتشين الشهير .

— كاتشين ؟

— نعم .

— من هذا ؟

— كاتشين الشهير ، هو من أشهر الموسيقيين في العالم .

— الشهر كاتشين .

— نعم ، إنه من أشهر الموسيقيين في العالم .

— المهم . . . لم أتذكر الرجل ، هل هو الذي أرسلك وعليكم السلام . . .

— نعم ، إنه من أشهر الموسيقيين في العالم .

— عازف البيانو الشهير .

— نعم ، إنه من أشهر الموسيقيين في العالم .

— آ . . آ . . هكذا إذا ؟ جيد . . . جميل .

فقلت له أنه يوجد بيانو واحد من ماركة « سيث وي » يصلح لهذه

الحفلة وهذا البيانو موجوداً لديكم ، وقلت أنني أريد هذا البيانو من

أجل الحفل وشرحت له ما استطعت عن هذه الحفلة وأهدافها : الفن ،

الوطن ، الشعب

عندما كنت أشرح له : في البداية تماوجت عيناه وتماوجت وبعد

ذلك رجفت وعندما أدركت أنه ارتعش من تأثير موسيقى صوتي الغير

متجانسة صرت أتحدث بصوت مرتجف وبعد أن دقق في نقطة التقاء

الجدارين مع السقف لمدة زمنية . نقر بأصابعه على الطاولة وقال :

— غير ممكن لأن هذا البيانو هدية من فرقة « الروكفين الأمريكية »

إلى المعهد الموسيقي في استانبول وقد قدموه بشرط ألا يعزف عليه

إلا في حفلات المعهد .

— وهل سيسترجعونهُ إن سمعوا؟ —

— هذا شرطهم ، حتى أننا نحل هذه المشكلة عندما نضطر لاعطاء البيانو الى اوركسترا المدينة بوضع فاصلة . فسألت بشيء من الدهشة:

— كيف ؟ فاصلة ؟

قال :

— نعم ... فاصلة ، عندما نعطي البيانو الى اوركسترا المدينة نكتب على وصل التسليم « معهد الموسيقى في استانبول فاصلة اوركسترا المدينة » فلو لم نضع الفاصلة لكنا افسدنا بنود الاتفاق .

— الا يمكن أن نحل موضوعنا بوضع فاصلة ؟

— لا يمكن أن نضع فاصلة لانكم من جهة لستم من هيئة رسمية ، ومن جهة أخرى غير تابعين للبلدية وبهذا نكون مسؤولين عن إفساد الشروط .

لم يبق سوى ايام قليلة على موعد الحفل ، وإذا ما أتى كاتشن فسيكون موقفنا صعباً للغاية .

ومن قلة حيلتي ذهبت الى مكتب الاخبار الأمريكي وطلبت منهم أن يسمحوا للمعهد الموسيقي في استانبول بإعطائنا البيانو الذي قدّم هدية من الروكفين من أجل إقامة حفلة موسيقية . ضحك الأمريكي وقال :

— وهل تقدّم هدية بشروط . ثم اتصل بالمعهد الموسيقي وطلب منه ان يعطينا البيانو وعندما ذهبت الى المعهد كان المدير في البلدية وكان عنك معاون المدير وبعد أن سمع كلامي قال :

— لا يمكن إننا نخبئ هذا البيانو كالعروس .

مثل العروس ؟ رجعت خطرتين الى الخلف وعندما اقتربت من الباب نظرت الى عين الرجل .

فصار يردد قائلا :

- نخبئه كالعروس ...

اصبحت المسألة عجيبة للغاية فالعروس لا تخبأ .

قلت :

- حسن يا سيدي ماذا تفعلون بهذا البيانو ؟

قال :

- ينتقل هذا البيانو من مكانه مرتين في السنة ، المرة الاولى في الخريف في بداية الموسم حيث ينقل الى السينما التي سيقام الاحتفال فيها للمرة الثانية عندما ينتهي الموسم في الربيع إذ يعود الى هنا ويطلق .

سألته :

- ولماذا ؟

- لان البيانو اثناء تنقله يتعطل ، او ينكسر في مكان ما .

نعم ، ففي إحدى المرات اخذته جمعية الحرب من اجل إقامة باليه وقد عزفت عليه معزوفات هادئة خوفاً عليه ، أما الآن فالذي سيعزف عليه عازف شهير ، سيضرب عليه بكل قوته فقد تعطل مفاتيحه او تنزع ارجله .

ومن دون أن أدري خرج من فمي صوت ضحكة / إه / فوضعت يدي على فمي وتظاهرت أنني أسعل .

كرر قائلاً: «...»
- إننا نخبئه كالعروس .

ولانه عروس فقد كان من الطبيعي ان تدخل الغيرة في الموضوع .

قال :

- ولكن استطيع أن أقدم لك مساعدة . فسألته بفرح :

- شكراً لك . وكيف ستساعدني ؟

- يوجد عدة آلات بيانو في المعهد الموسيقي تستعمل من أجل التدريس
ولكن من ماركات مختلفة نعطيكم واحدة منها .

ذهبت بصحبة ثلاثة اشخاص لرؤية آلات البيانو التي سنأخذ واحدة
منها وكانت جميع الآلات مكسورة ومعطلة وأفضل بيانو رأيناه كان من
ماركة / ماشستين / عندما ضربنا على مفاتيحه خرجت موسيقا لم
توجد نوطتها حتى الآن في عالم الموسيقى . يوجد في البيانو فقط علامة
« ري » جيدة تضغط عليها فيخرج لك صوتاً يعوي « دووو » قال
معاون المدير :

- حسناً ، سنعطيك هذا البيانو ، أصلحه واعزف عليه .

إن تحويل هذه الآلة التي يدعونها بيانو إلى سيارة أسهل من
إصلاحها واستعمالها كبيانو للعزف . والأصح يمكن أن تخرج منها
سيارة فورد من الماركات القديمة بجهد أقل وبمصاريف أقل أيضاً .

ومن قلة الحيلة ومن ترددني الى هنا وهناك دون فائدة لم أجد
أفضل من الذهاب الى مكتب فنون المدينة التابعة لأحد معاوني رئيس

البلدية ، عرفت انه كان في السلك العسكري قبل استلام وظيفته هنا
كمعاون رئيس بلدية مسؤولاً عن الشؤون الفنية في المدينة . بدأت
حديثي قائلاً :

– يا سيدي ، انتم العساكر تفهمون بشؤون الفن .

فقال :

– نعم ، كنت اعزف الباص في فرقة المراسيم .

شرحت له كل ما اريده بشكل مفصل .

فقال :

– اكتب طلباً وقدمه لنا .

خرجت وكتبت الطلب وقدمته فوراً .

– عجباً كيف ستسير الأمور لقد اقترب موعد الحفل كثيراً .

– نحن سنحول طلبكم الى هيئة البوليفونيك الفنية والهيئة تقرر . .

عجباً وهل يعطونا البيانو .

– عن نفسي لن استخدم الفيتو ضدكم اما الاخرين فلا اعرف

موقفهم .

جاء قرار الهيئة :

– لا يعطى البيانو .

ذهبت الى معاون رئيس البلدية وبعد ان قلت كل ما يجب ان يقال

وتوسلت إليه بما فيه الكفاية . قلت :

- يا سيدي ، هذه خدمة تهم المصلحة العامة .

قَلَّبَ الملفات والأوراق المقدسة فوق مكتبه بأصابعه وقال :

- انظر . انا هنا أخدم المصلحة العامة الى أقصى حد .

- يا سيدي لم يبق وقت ، لقد تكررَ علينا عزاف البيانو وقَبِلَ دعوتنا ، إذا أتى فسوف يكون موقفنا صعباً وسيقل اعتبارنا وقيمتنا في الخارج ، ستفسد سمعتنا ويقولون : بلد كبير مثل استانبول لا يوجد فيها بيانو واحد من أجل إقامة حفلة موسيقية .

- كيف سنعطيك بيانو خاص للبلدية ، وأنتم لا تشكلون جمعية أو حتى اي هيئة عامة ، اعطى البيانو للقطاع الخاص ؟

فشرحت له : السمعة ، الوطن ، الفن .

- افهم ، افهم ، افهم إنك رجل مثالي .

نظرت الى عينيه بشيء من الأمل .

فقال :

- أنا اعرف كل هذا ولكن لا يمكن أن اشرحه للآخرين .

وبدأت من جديد الشعب ، الوطن ...

قال :

- إنكم تشغلون مركزه .

ولانني لم افهم . سألته :

- واي مركز .

ضرب على زجاج الطاولة بيده وقال :

- المركز - المركز .

ركضت من جديد الى مدير المعهد الموسيقي

- يا سيد ، ستسوء سمعتنا في العالم ، لقد علقتنا الدعايات وعلنا
عن الحفل .

- وهل أخذتم رأيي ؟ لو لم تدعوه .

- ولكننا دعوناه .

- لا يمكن ان نسمح لاحد بالعزف على هذا البيانو إلا إذا كان
من خريجي المعهد الموسيقي في ميونخ .

- ولكنه كاتشين .

- انا لا افهم كاتشين ، ماتشين الفوا الحفل .

- سمع وزير الداخلية بالموضوع . اتصل من انقره هاتفياً برئيس
بلدية استنبول ومن جديد خرج القرار عن هيئة البوليفونيك الفنية :
لا يُسمح لوزير الداخلية بالتدخل بشؤون الفن .

في هذه الاثناء جاء كاتشين بالطائرة ، شرحنا له الموضوع بهدوء
فقال مبتسماً :

- لا نستطيع إلغاء الحفل بعد ان أعلننا عنه وبما أنني قدمت إلى
استانبول فلا ضير من العزف على بيانو آخر .

سمع والي استانبول بما حدث ، وللحقيقة نقول أنه حاول كثيراً
ولكن بعد أن رفض المعهد الموسيقي اخراج عروسه قال الوالي :

« يوجد في مضافة الوالي بيانو ، جربوه »

ذهبنا إلى مضافة الوالي مع كاتشين وبعد أن نظر كاتش الى
البيانو قال :

- بيانو جميل ولكنه لايعزف .

- ولا يوجد أي وقت لاصلاح البيانو فالحفل سيقام في يوم غد .

وجدنا عند مدرب العزف على البيانو آلتى بيانو ، فذهبنا ورائناه،
دلّ كاتشين على إحدى الآلتين وقال :

- ربما تكون جيدة .

كان المدرب برفيسوراً رائعاً . لم يأخذ نقوداً ، فحملنا البيانو إلى
السينما التي سيقام فيها . صفق كاتش في صالة السينما التي سيقام
فيها . صفق كاتش في صالة السينما الفارغة ليقبس مدى الصوت وقال:

- سيء جداً ولكن من العيب الغاء الحفل . إنني متعب جداً يجب
أن أذهب إلى الفندق لأرتاح قليلاً .

أخذناه إلى الفندق ولكنه لم يستطع النوم علماً أنه أخذ قرص
منوم ، ولأن معاملة الدخول والعملة غير مكتملة فقد حضر إلى الفندق
الكاتب العدلي وموظف المالية .

في اليوم التالي ذهبنا الى صالة السينما التي سيقام الحفل فيها
فقال كاتش :

- يجب أن أعمل يروفه .

غير ممكن لأن السينما كانت تعرض فيلماً وبعد انتهاء عرض الفيلم دخل مدعواو الحفل إلى الصالة قال ضابط اللوزان :

- لم أستطع أن أعبّر البيانو ، وذلك لضيق الوقت .

وفي أثناء الإبتداء بالعرض علمت بأن الستائر كانت معطلة أيضاً ، ففتحت الستائر بيدي .

افتتح كاتشن الحفل بكلمات موجزة قائلا :

- مع الأسف لم أستطع تأمين بيانو كبير يليق بحفلة كهذه ومع ذلك أريد أن أشكركم لأنكم لم تحرموني من شرف العزف أمامكم وإن كان البيانو الذي سنعز عليه بنصف عمر .

وبدأ كاتشن بعزف مقطوعة من / ليست / صار كاتشن المعروف بأنه أكثر من يتقن عزف هذه المقطوعة عالمياً ، صار يرتجف لأنه كانت تسمع ضربات كضربات المطرقة تخرج من البيانو وأصبحت تخرج من البيانو أصواتاً تشبه أصوات الفيتار وبدأ الغضب على كاتشن . أصبحت تسمع في الصالة أصواتاً أشبه ما تكون بضربات جنزير الترومواي عندما يخرج عن سكتة ويسير على الرصيف وفي هذه الأثناء بدأت أوتار البيانو بالاستطالة نحو الأسفل فصار كاتشن يجمعها بإحدى وإجليه .

من المعروف أن مقطوعة / ليست / هذه تنتهي بصوت هادئ للغاية ولكنها انتهت هذه المرة كصوت سعال منظم للقصبات لرجل مصاب بالزكام ، وعندما أنهى كاتشن معزوفته ضرب بأصابعه العشرة على البيانو وانتصب على رجليه والعرق يتصبب من جبينه وبدأ يتكلم بالانكليزية .

- سيداتي سادتي ...

تروون التعذيب الذي قاسيته لكي أنهي هذه الحفلة على خير ، وعلى اعتبار أن جمعيات حماية الحيوان موجودة في كل مكان في هذه الدنيا فلماذا لا تؤسس جمعية لحماية الفنانين في بلدكم .

حتى في وسط الصحراء يستطيع الإنسان أن يؤمن بيانو صالحاً لعزف مقطوعة موسيقية ولهذا أتمنى أن يتواجد في مدينتكم بيانو صالحاً لتقديم حفلة عالمية .

وانتهت الحفلة

الصراع بين ذيل الجدي والبوصله

Handwritten text, possibly a signature or name, located in the center of the page.

الى الآن لم تحل قضية من كان على صواب اهو قائد الجيش الخامس حافظ يونس باشا أم رئيس الأركان الحربية فون غولف .

منذ نصف قرن والمؤرخون يبحثون ويناقدون هذه القضية ومع ذلك لم تعرف الحقيقة . من المعلوم بالنسبة للمؤرخين أن القضية بدأت عندما ناقشوا مسألة أيهما أصح في تحديد الاتجاه ذيل الجدي أم البوصلة .

حافظ يونس باشا يرى أن ذيل الجدي أفضل من البوصلة في تحديد الاتجاه أما سبب استعمال البوصلة أكثر من ذيل الجدي فهو أحد الأخطاء التي ارتكبها علماء الغرب . ولكن الحقيقة غير ذلك تماماً .

فالعلماء الغربيون كعادتهم أخرجوا وناقوا لا أساس لها من الصحة منذ عهد الصليب عن الشعور بالحق والانتقام والم الذيل وقد قدموا محاولات فاشلة لكي ينصروا فكرة فون غولف ولكن لم ولن ينجحوا ، الآن يجب أن نعرض هذه المسألة بموقف محايد وعلمي وموضوعي .

من المعلوم أن فون غولف قد طلب الى الجيش الألماني كضابط احتياط عندما أعلنت الحرب العالمية . ومن المعروف أيضاً أنه من سلالة سويسرية وعائلته تعمل في تصليح وتصنيع الساعات منذ قرنين وأما سبب اعطائه اسم غولف فيرى بعض المؤرخين بأن سبب ذلك أنه كان يلبس بنطال غولف ويرى البعض الآخر أن السبب عائد لكونه يتقن لعبة الفولف بشكل ممتاز .

كان غولف ساعاتي مثل جميع أفراد عائلته فقد كان يصلح الساعات للمعطلات خلال زمن قصير وكان بذلك يحمي كل زملائه في العمل .

ولأنه كان مشغولاً جداً ولساعات طويلة بتصليح الساعات فقد كان يحب أن ينجز أعماله بأوقاتها ودون تأجيل وبناءً على هذه الصفات فقد عين في تعيين ساعات الجيش الألماني وكان مسروراً جداً بهذه الوظيفة .

كتب في مذكراته بعد الحرب أنه على الرغم من خسارة الجيش الألماني فقد كان سبباً في نجاح هذا الجيش لبعض الوقت وفي بعض الجبهات وسبب ذلك هو أنه كان يعير ساعات الضباط والأفراد في تلك الجبهات .

هذا الضابط المعجوز غولف الذي كان برتبة ملازم أول في بداية تميينه وأصبح مقدماً بسبب الخدمات التي قدمها وفي آخر الحرب كان برتبة عميد وفي جبهة سيناء عين رئيس أركان الجيش العثماني الذي كان يقاتل الانكليز مما أهله لأحراز رتبة باشا وعرف بعد ذلك بلقب فون غولف باشا .

وأما قيادة الجيش العثماني فقد أعطيت لحافظ يونس باشا الرجل الشريف والمتدين وكان من أول أعمال حافظ يونس باشا اقتناع فون غولف باشا عندما أتى بقبول الإسلام ديناً ولكن فون غولف هذا الكافر كان مصراً على عدم القبول بدين الحق حتى أنه أثناء الهجوم الذي بدأ مع بزوغ الشمس في يوم ١٩ ربيع الأول وسيلان الدماء الذي سببه هذا الهجوم . كان حافظ يونس باشا يحاول مع فون غولف كي ينطق بالشهادة . لأنه كان يحبه كثيراً ولا يريد أن يخسره بالمجان فقد كان يريده أن يموت شهيداً .

ولكن أثناء الهجوم الانكليزي اضطرت الجيش العثماني على الانسحاب وكان سبب الانسحاب من وجهة نظر حافظ يونس باشا هو أن غولف لم يكن مسلماً .

إذن هكذا بدأ الخلاف بين حافظ يونس باشا وفون غولف باشا
ومما زاد الخلاف حدة حول مسألة تعيير الشاعات وأشعل الخلاف أخيراً
مسألة ذيل الجدي .

حضر فون غولف باشا خطة هجوم وتقوم هذه الخطة على إبادة
العدو إذا طبقت فجأة عليهم . وحسب الخطة سيهاجم الجيش العثماني
مؤخرة العدو في الساعة السادسة إلاّ تسع عشرة دقيقة . لقد كان
فون غولف باشا بحكم عمله كساعاتي يستخدم كثيراً أوقاتاً دقيقة .

وقبل حافظ يونس باشا خطة فون غولف باشا وحدد وقت
استعداد الجيش للهجوم في الساعة الخامسة إلاّ إحدى عشر دقيقة ،
استيقظ فون غولف في الساعة الثالثة ، حلق ذقنه ولبس ثيابه ولمع
حذاءه وكتب الرسائل التي سيرسلها الى كل أفراد أسرته المقيمين في
المانيا وضع الخريطة في حقيبته ، أخذ منظاره وركب على الحصان وكان
السائس خلفه ، وذهب الى المكان المحدد حسب الخطة للقائد مع بقية
العناصر وكان يعم صمت الموتى على هذه الصحراء الباردة لأن الصحاري
التي تكون شديدة الحرارة في النهار يكون ليلاً بارداً للغاية . كان الليل
يلم ستاره الأسود معلناً عن قدوم النهار . وعندما أتى الى المكان المحدد
حسب أوامر حافظ يونس باشا لم يجد أحداً بانتظاره وأدرك أنه حصل
خطأ في التوقيت .

وخوفاً من أنه قد أتى الى مكان خطأ بدأ يدقق بالخريطة على ضوء
بيل كهربائي . وحاول استعمال البوصلة مع وضعية النجوم من أجل
تعيين المكان وتأكد أنه لم يأت الى المكان الخاطئ . كان فكاه يضربان
ببعضهما من شدة البرد وبدأ يصرخ : « حافظ يونس باشا ااااا » ، ولكن
صرخاته لم تعط نتيجة أكثر من رجوع الصدى في هذه الصحراء الفسيحة
منتهية ولأن العدو قد سمع صوته فقد بدأ الرصاص يطلق عليه فقرر
فون غولف الواقع تحت وابل من الرصاص الهروب لأنه جرح وبصعوبة

أنقذ روحه الغالية . وعندما عاد الى المركز وجد حافظ باشا يشخر وهو يعطي إشارات في جهاز المورس أيقظ فون غولف حافظ باشا وسأله قائلاً : « ما هذا العمل يا باشا ؟ » فقال حافظ يونس باشا : منذ قليل صليت الفجر ونمت ثم ماذا فعلت ؟ كيف توقظ باشا عثماني من نومه اللذيذ ؟

فقال غولف باشا :

« يجب أن يكون قد تم الهجوم » فقال حافظ باشا : « انظر ها هي خطتك سيتم الهجوم بعناية الله في الساعة الخامسة إلا إحدى عشر دقيقة ، وسيدمر الكفار أجمعين وسينتصر دين الاسلام هل دهشت ؟ » . عندئذ أظهر فون غولف ساعته قائلاً : « ما الذي تقوله يا باشا إن الساعة الآن السادسة ولقد مضى زمن الهجوم » . فقال حافظ يونس باشا : إن ساعتكم باطلة لأنها افرنجية ولهذا فنحن نستعمل ساعات شرقية » . رفع فون غولف شعره وقال : « يا إلهي في الخامسة إلا إحدى عشر دقيقة على النظام الشرقي يكون الوقت ظهراً فلو حصل الهجوم وقت الظهيرة فالجنود سيموتون من حرارة الجو » .

وبدا النقاش بين الباشا العثماني والباشا الألماني . الافرنجية هي الباطل . لا بل الشرقية هي الخطأ وهكذا اشتعل الخلاف ولما حوّل غولف باشا الساعات التي تخص الجيش العثماني ضباطاً وأفراداً الى التوقيت الافرنجي مخالفاً الشريعة اشتد غضب حافظ باشا وهجم عليه قائلاً : « الساعات العثمانية ثابتة لاتخالف الوقت ، ولذلك يجب أن تحوّل ساعتك الى التوقيت العثماني . وفي أثناء هذا النقاش هاجم جيش العدو المركز وحاصروه ولذلك فقد اضطر الباشوان أن يتخلوا عن أربعة آلاف جندي وحمولة أربعة حيوانات أرزاق وتحميل ثمانية جمال أسلحة نارية كي ينجوا بأنفسهم .

بعد هذا التاريخ ومن كثرة ما فكروا بقضية الفرنجة والشرق فقد أصبح فون غولف باشا يذكر الانسحاب عندما يكون الحديث عن الهجوم

ويذكر الهجوم عندما يذكر الانسحاب أما حافظ باشا كان يذكر الاستراحة عندما يذكر الهجوم ويذكر الهجوم عندما تذكر الاستراحة وبذلك جبلت رمال الصحراء بدماء العساكر المفقودين .

كان يوجد الجدي والجمال والحيوانات وقد كان يرى فون غولف: أنهم احضروا الجدي من أجل الاحتياط . فإذا ما نقص الطعام عن الجنود فسيذبون الجدي ويقدمونه طعاماً للجنود . أما حافظ يونس باشا فقد اعترض قائلاً أن :

الجدي ليس من أجل الطعام بل من أجل تحديد الجهات ولكن فون غولف باشا دهش متسائلاً : « ألا تستعمل البوصلة؟! » .

ورغب فون غولف بعد ذلك معرفة كيفية استخدام الجدي لتحديد الجهات ولذلك فقد شرح له كالتالي :

« لقد خلق الخالق للجدي ذيلاً قصيراً ، ولم يفظر مؤخرته ولذلك تبقى المنطقة مفتوحة مما يؤدي وصول البرودة إليها ولذلك فإن الجدي يوجه مؤخرته بعكس رياح الشمال الباردة لكي لا يشعر بالبرودة أي تكون مؤخرته باتجاه الجنوب وقرنيه باتجاه الشمال ، إن المولى خلق كل شيء وجعل سبباً وراء خلقه أما ترك هذه المنطقة عند الجدي مكشوفة فسببه تحديد الجهات للإنسان » .

ولما سأل فون غولف باشا متعجباً « لماذا لا تستخدمون البوصلة؟! » فأجابته : « لا يجوز الاعتماد على العبد لأن العبد خاطيء ، فلنفرض أن البوصلة معطلة الا نضيّع الاتجاهات أما الجدي فلا يمكن أن يوجه مؤخرته المكشوفة باتجاه الشمال » .

بدأ خلاف جديد بين الباشا العثماني والباشا الألماني على تحديد الجهات إثر تعرض الجيش لهجوم الأعداء . حافظ يونس باشا لا يعتمد

في تعيين الجهات إلا على ذيل الجدي لأن البوصلة قد تكون معطلة ولكن لا يمكن لأي جدي أن يكون معطلاً .

فالباشا يقول : « الدنيا تدور ونحن ندور فوقها فكيف لإبرة البوصلة أن تبقى بنفس المكان متجهة نحو الشمال ؟ » .

فون غولف باشا على عكسه تماماً فهو يعتمد على البوصلة ولا يرى حاجة للاعتماد على الجدي وفي ساعة الهجوم لم تتفق ابرة البوصلة مع ذيل الجدي فكل منهما يعطي اتجاهاً مغايراً للآخر ولكن حافظ باشا أعطى أمراً للجيش بالهجوم بناء على ذيل الجدي وعندما كان الجيش في طريقه للهجوم سمعوا صوتاً من خلفهم « هر رررر » ، وبعد ذلك أدركوا أنهم ينسحبون بدل أن يهجموا واكتشفوا أيضاً أن العدو يهجم عليهم من الخلف وبناء على هذا قال فون غولف باشا : « انظروا ها هي نتيجة اعتمادكم على ذيل الجدي » .

فبدل أن تهجموا نحو الجنوب انسحبتم نحو الشمال

لكن حافظ يونس باشا قال : لا يمكن وجود خطأ في ذيل الجدي . فذيل الجدي لا يخطئ أبداً . إن أصل الخطأ موجود في بوصة الانكليز فقد أخطأ الجيش . فبدل أن يهربوا أمام هجومنا نحو الجنوب اتجهوا مهاجمين نحو الشمال . « الخطأ كامن في الانكليز وليس في ذيل الجدي »

لقد أدى انسحاب الجيش لمدة معينة الى خسرات كثيرة حتى وقفوا على خط الدفاع . وفي النهاية اعتمدوا على ذيل الجدي من أجل عملية الانسحاب فوجدوا أنفسهم بكامل جيشهم في منتصف جيش الانكليز ولما قرروا الانسحاب من جديد هاجموا الانكليز . ولما قال غولف باشا « هذه نتيجة استخدام ذيل الجدي بدل البوصلة » .

فاعترض حافظ باشا وقال بأن الانكليز هم الذين يخطؤون في تحديد الجهات . وبعد هذه الحادثة قال فون غولف باشا . لا أجد لي

مكاناً بين جماعة يستخدمون ذيل الجدي في تحديد الاتجاهات قدم استقالته وعقد العزم على العودة الى بلده . وانتقلت هذه الحادثة من التاريخ الى يومنا هذا والمناقشة موجودة بين المؤرخين وحول هذا الموضوع فالأوروبيون يرون ومن دافع عداوتهم لنا أنه عيب على حافظ يونس باشا استخدام ذيل الجدي في تحديد الاتجاه ولكن اليوم نستطيع أن نقر بأن الخطأ ليس في ذيل الجدي بل في البوصلة التي كان يستعملها الانكليز أو بسبب وجود معدن قريب من الجيش مما أدى الى اتجاه الابرة نحو جهة هذا المعدن وهناك احتمال آخر أن الجدي الذي كان مستخدماً في تحديد الاتجاهات كان مريضاً وكانت حرارته مرتفعة جداً ولهذا فقد وجه الجدي المسكين مؤخرته باتجاه الشمال لكي يخفف من حرارته .

نأمل من خلال هذه المناقشة والمطالعة بهذه القصة أن نكون قد بينا الخطأ الفادح والواضح جداً الذي ارتكبه المؤلفون الغربيون .

هل يوجد مثل الحضارة

منذ أول يوم من زواجنا وزوجتي تطالب بطنجرة بخارية :

لا يوجد اي سبب لعدم إحصاري طنجرة بخار سوى قلة النقود ،
وزوجتي تشرح لي باستمرار أفضال طنجرة البخار :

– أوفر الزمن ، ان أضيع ساعات طويلة في المطبخ من أجل الطبخ
تنضج الطبخة بسرعة أكبر باستعمال طنجرة البخار :

– هذا صحيح يا روجي .

– ونوفر نقوداً أيضاً ، فإذا اشترينا طنجرة بخار سيقبل مصروف
الغاز علينا .

– معك حق يا حبيبي .

– الطبخ في طنجرة البخار سيكون الذل لأنه يحفظ البخار في الداخل
ويمنع خروج طعم الخضار واللحمة .

– تقولين الحقيقة يا عزيزتي .

كانت تفضب من مجالتي هذه فلو قلت لها وهي تطالبني بطنجرة
البخار :

« كلا ان اشتريها فطنجرة البخار لا تنفع لاي شيء » لصممت أو
كانت في أسوأ الحالات تحاول إقناعي بتقديم أوصاف الطنجرة وأفضالها
ومن أجل إقناعي اتبعت أسلوباً جديداً .

– إنه أمر معيب للغاية ، إذ لا يوجد بيت آخر غير بيتنا لا يملك طنجرة بخار ، كل معارفي يملكون طنجرة بخار في بيوتهم ولا يوجد في بيتي طنجرة .

– أنت محقة يا حبيتي .

مضت مدة طويلة على هذه الحال بعد ذلك جريت أسلوباً جديداً :

– حتى الباعة الجوالون يملكون في بيوتهم طنجرة بخار ، أنا لا أطلب منك سيارة أو ثلاجة ، كل ما أطلبه هو طنجرة بخار إنها أرخص شيء .

– كم أنت محقة يا حبيتي .

إنه لمن الأفضل أن تطلب سيارة إذ أنني سأقول لها وقتئذ :

« لا يوجد معي نقوداً ولا أستطيع أن أشتريها » وينتهي الموضوع ولكن من الصعب على الزوج أن يقول لا املك نقوداً تكفي الشراء طنجرة بخار .

ونحن نتناول طعام العشاء في إحدى الأمسيات قالت بشكل مفاجيء

أتعلم ؟

– قلت .

– ماذا ؟

– اليوم يصادف الذكرى السابعة لزواجنا .

– لا والله . . . هذه هي السعادة الزوجية يا حبيتي لم نشعر بمرور سبع سنوات على زواجنا شيء مدهش .

قالت :

- نعم إنه مدهش أن تمضي سبع سنوات دون طنجرة بخار .

غليت الفاصولياء أربع ساعات على الغاز ، ولو أننا نملك طنجرة بخار لكنك طبختها خلال نصف ساعة .

- فعلا يا حبيبتي ... فعلا يا روحي .

- أنت تخرج الإنسان عن طوره .

- ولماذا يا حبيبتي ؟

شربت زوجتي كأس ماء لكي تبلع لقمة وقفت بحلقها وكادت تخنقها

في إحدى المرات أعجبت كثيراً بمقالة كتبته للصحيفة التي أعمل بها ومن أجل معرفة رأي زوجتي بالمقالة أعطيتها إياها وقلت :

- اقربها وأعطني رأيك فيها .

- كل ما تكتبه خطأ ، سببت لي هذه العبارة أول جرح خلال حياتنا الزوجية فصرخت قائلاً :

- لماذا ؟

- لأنك قبل كل شيء لست إنساناً متمدناً .

- إنك تحقريني ، ألا تشعرين بذلك ؟

- إنه ليس تحقيراً بل حقيقة ... الإنسان المتمدن هو الإنسان الذي يستعمل الوسائل التقنية الموجودة في أيامه ويستفيد من خبراتها . كيف يمكن لإنسان أن يفكر بعقلية القرن العشرين وهو يستعمل وسائل القرن

التاسع عشر ؟ انه لمن المؤكد ان الإنسان الذي يستعمل الآلة الكاتبة متطور عن الإنسان الذي يستعمل الريشة ، إن الآلة التي يستخدمها الإنسان هي التي تحدد شخصيته . تتغير أفكار الانسان وتتطور تبعاً للآلة التي يستعملها في العصر الذي يعيشه .

فإذا ادعى أحدهم المدنية وقال انه انسان متمدن أسأله :

« يوجد في بيتك ثلاجة ، تلفريون ومكنسة كهربائية ؟ املك سيارة ؟ اكتب بواسطة الآلة الكاتبة ؟ » فإذا أجاب بالنفي يكون كاذب فيما ادعاه فلا يمكن أن يكون رجلاً متمدناً من لم يستعمل هذه الآلات . فبأي حق تكتب المقالة وتحاول أن ترشد الآخرين بها .

لاول مرة أشعر بالحزن لأنني تزوجت من امرأة مثقفة .

وفي اليوم التالي اشتريت طنجرة بخار فأحضرتها الى البيت .
وقلت .

— ها نحن قد دخلنا الى عصرنا بواسطة طنجرة البخار يا حبيبتى مباركة أنشاء الله . أو من انه سيطراً تغير على تفكير المرأة التي تستعمل طنجرة البخار هذه . حقيقة انا متأكد من ذلك إذ انه لا يمكن أن يستوي الذي يستعمل طنجرة البخار والذي ينفخ نار الحطب تحت الطنجرة العادية .

مرت ايام وشهور وزوجتي لم تستعمل طنجرة البخار . والآن جاء دوري في الكلام فقلت :

— لماذا لا تستعملي طنجرة البخار ؟

— لا شك سأستعملها ولكن لن أستعملها الآن فقط .

– يا حبيبتي لماذا لا تطبخين بطنجرة البخار ؟

– سأطبخ .

– كانت تسكتني بمدة كلمات ولكني لم أدعها وشأنها .

– يا روجي لماذا لا تستعملها ، لا اعتقد أننا اشتريناها للزينة .

كنت أتحدث بنفس الموضوع دائماً :

– كان يمكننا أن نذهب ونشاهدها في واجهات المحلات .

– المدنية لا تعني مشاهدة الوسائل التقنية بل استعمالها .

وفي النهاية قالت زوجتي :

– إن طناجر الألمنيوم والنحاس تفي بحاجتنا الآن .

– ما دام الأمر كذلك . . . لماذا اشترينا طنجرة البخار .

– يا روجي لن أستعملها لأنني أخاف عليها من أن تعطل وتعيق .

لا اعتقد انه باستطاعة الأمم المتقدمة صناعياً فهم كلام زوجتي .

عندما أحضرت المذياع أول مرة الى بيتي لم المس مفتاحه لعدة أيام خوفاً من أن يتعطل .

أحد اصدقائي اشترى هاتفاً فبدأ يتصل بجميع الأرقام التي معي رقماً رقم .

لم أعد ألح على زوجتي أن تطبخ لنا بطنجرة البخار ولكن أحياناً أقول لها :

استعملي طنجرة البخار فقد حان استعمالها .

وفي إحدى المرات قالت :

— الا تفهم : إني أخاف كثيراً .

فقلت :

— مما تخافين ؟

— إذا انفجرت ستحدث مصيبة .

يقولون بأن الناس عندما شاهدوا السيارة تمشي في الشارع لأول مرة اعتقدوا بأنها حيوان غير معروف فقدموا لها العشب كي تأكل .

في يوم من أيام الأحد كانت طبختنا لا تكفينا ومع ذلك أتى إلينا ضيوفٌ في موعد الغداء في يوم سعيد كهذا قررت زوجتي استعمال طنجرة البخار ، كانت تعمل في المطبخ بينما أحاول تسليية الضيوف وبعد حوالي نصف ساعة قالت زوجتي أرجو أن تأتي قليلاً .

ذهبت الى المطبخ فقالت زوجتي التي كانت تسبح في بحر من العرق:

— منذ الصباح وأنا أحاول فتح هذه الطنجرة ولكن دون فائدة ، حاولت فتح غطائي الطنجرة المطبقين على بعضهما حضنت الطنجرة وحاولت فتحها ولكن لم أستطع فتح الطنجرة أكثر من مليمترين أو ثلاثة فقالت زوجتي :

— ماذا سنفعل الآن ؟

— لا أعرف .

— لنسال الضيوف .

– من العيب ان نسال الضيوف سوف يقولون لم يستطيعوا فتح
طنجرة بخار .

– ولم العيب أنا أسألهم .

أخذت الطنجرة المغلقة الى الضيوف وقالت :

– هل تعرفون كيف تفتح هذه الطنجرة ؟

قالت إحدى الضيفات :

– آ ... إنها موديل آخر تختلف عن طنجرتنا .

قالت امرأة أخرى :

– إنها تشبه طنجرتنا ...

ولكنها لم تستطيع فتحها وزوجها أيضاً لم يستطع فتحها .

– الا يوجد كتلوك ؟

– نعم ...

ولان هذا الكتلوك يشبه غيره من الكتلوكات التي تكتب عادة بلغة
لا يستطيع الانسان فهمها فقد فسره كل شخص على هواه ولهذا وجدنا
أنفسنا أمام سبع طرق لفتح الطنجرة ، ومع ذلك لم تفتح رغم أننا جربنا
الطرق السبعة .

فقالت زوجتي للمرأة التي لديها طنجرة من موديل طنجرتنا :

– كيف فتحتم طنجرتكم ؟

فأقلت المرأة :

نحن اشتريناها مفتوحة لأن أحد الجيران الذي أخذ طنجرة مغلقة
قال لنا :

« خذوا حذرکم ها ... واشتروا طنجرة مفتوحة » ونحن عملنا
بنصيحته .

- أولم تغلقوها في بيتكم بعد ذلك ؟

دهشت المرأة وقالت :

- طبعاً نغلقها ولكن طنجرتنا البخارية اعتادت على ذلك فأصبحت
سهلة الفتح والاعلاق .

حركنا الغطائين الى هذه الناحية والى تلك واستطعنا بالنهاية فتحها .
أخذت زوجتي الطنجرة وذهبت الى المطبخ أما أنا والضيوف فقد دخلنا
في حديث عن مساویء صناعتنا المحلية .

قال أحد الضيوف :

- الصناعة الأوربية مختلفة ، بحركة واحدة تفتح وبحركة
معاكسة تغلق .

- وقال آخر :

- وصناعتنا لا تفتح ولا تغلق .

دخلت زوجتي والطنجرة بيدها : وقالت :

- كيف يوضع مفتاح البخار ؟

ومن جديد عدنا الى الكتلوك وقراناه وبداننا نجرب استنادنا الى الأشكال المرسومة في الكتلوك ولكن لم نعرف المكان الذي نضع فيه مفتاح البخار .

قال أحد الضيوف :

— لو لم نقرأ الكتلوك لركبنا المفتاح وانتهينا .

أصبحت الساعة الثانية عشر ولم توضع الطنجرة على النار .

قالت زوجتي :

— قولوا لي بربكم ... كيف تستعملون هذه الطنجرة .

قالت امرأة عجوز يا ابنتي بالنسبة لي فقد أخرجت البلاستيك الذي في الطنجرة خوفاً من أن تنفجر وأستعملها الآن مثل أية طنجرة عادية .

— هل تطبخ بسرعة في هذه الحالة ؟

— لا ، بل تأخذ وقتاً أكثر من الطنجرة العادية ولكنها تبقى طنجرة عادية على أية حال .

سألت زوجتي ضيفة أخرى :

— ايجاد لديكم طنجرة بخار ؟

— آآ ... طبعاً يوجد .

— وكيف تستعملونها ؟

— إن كنت تريد الحقيقة يا حبيبي فأنا اشتريتها في السنة الماضية وحتى الآن لم أستعملها . بقيت كما هي .

— ١٧٧ — كيف قمنا بالثورة م-١٢

واعترفت ضيفة أخرى بأنها تستعمل طنجرتها البخارية كوعاء للماء.

أصبحت الساعة الواحدة فقلت لزوجتي :

— اسألي الجيران فكلهم لديهم طناجر بخار .

ذهبت زوجتي الى بيت الجيران وبمد نصف ساعة عادت حزينة
ويدها الطنجرة وقالت :

— منوّر خانم تستعمل الطنجرة دون رفع غطائها . وبرين خانم
لا تستعمل طنجرتها من الخوف .

وحورية خانم طيخت بطنجرة البخار مرة واحدة دون رفع غطائها
ومنذ شهرين والطعام موجود في الطنجرة .

— حيناً وماذا سنفعل ؟

— ربة منزل جيراننا الذين يسكنون في الطابق العلوي ذهبت في رحلة
اصطياف ولا يوجد في البيت غير زوجها لأذهب وأسأله :

أخذت الطنجرة وذهبت الى جاري الذي في الطابق العلوي وقلت له:

— عفواً أرجو الا أكون قد سببت لك اي إزعاج . أوجد لديكم
طنجرة بخار ؟

— طبعاً موجودة .

— فسألته بسرور :

— أتستطيع أن ترشدني الى كيفية استعمالها ؟

فقال الرجل :

- تفضل الى الداخل لحظة من فضلك .

أخذي الى المطبخ ، وضع يده على كتفي وأشار الى السقف باليد الأخرى وقال :

- انظر ...

كان يوجد في السقف مجموعة من الخطوط المجردة المكونة من الألوان الأصفر والأخضر والأحمر ولأنني ظننت بأنها إحدى أعمال الديكور قلت :

- جميل جداً .

- معني ذلك أنها أعجبتك .

- نعم .

- زوجتي مبدعة ، هذا اللون الأحمر هو رب البندورة واللون الأصفر بطاطا وأما القسم الذي يشكل الخلفية فهو لحمه .

- برفوف فغلاً أنه ديكور مطبخ رائع .

- إذا نسيت زوجتك طنجرة البخار على الغاز فإنكم ستحصلون على ديكور بهذا الجمال .

- شكرته وخرجت من عنده .

أعطيت طنجرة البخار لزوجتي وقلت لها « افعلي ما بدا لك » .

ولقد استطاعت زوجتي باستخدام ذكائها تركيب مفتاح البخار على الطنجرة . ثم وضعت الطعام في الطنجرة بناء على تعليمات الكتلوك وبعد ذلك وضعتها على النار .

وقف الضيوف في المطبخ وبدأوا ينتظرون بفارغ الصبر أما زوجتي فقد انقصت كمية الغاز المتدفق الى أبعد حد كي تخفف النار خوفاً من انفجار الطنجرة . كانت النار خفيفة تحت الطنجرة لدرجة أنني اعتقدت ان الطبخ يحتاج لسنة على الأقل حتى ينضج في هذه الاثناء قالت إحدى السيدات :

— خففي النار قليلاً وإلا ستنفجر الطنجرة .

أدارت زوجتي مفتاح الغاز وخففت النار قليلاً فقالت عجوز من بين الضيوف .

اعتقد بأنه إذا رفعت الطنجرة عن النار قليلاً سيكون أفضل لأنه سيخف تأثير النار عليها . والإنسان لا يمرف ساعة النحس .

قلت :

— ولكن لن ينضج الطعام .

— آ آ ... إنها بخارية ، خلال ثانية واحدة تطبخ الطعام .

وضعت زوجتي قاعدة تحت الطنجرة فرفعت عن النار قليلاً ، لقد كان الاضطراب واضحاً علينا جميعاً ، ونحن ننتظر انفجار الطنجرة .

— اصفوا لصوت البخار ... عندما تزمّر أطفئ النار تحت الطنجرة .

— أنا أخاف .

— عندما تزمّر ارقمي الطنجرة .

— إن بخار هذه الطنجرة لا يزمّر بل يصفر .

- لكنها لم تصفر .

- لا شك أن بخارها معطل ، فلو كان حجراً داخل طنجرة البخار

لنضج .

وعندما أنزلت زوجتي الطنجرة عن النار صرخنا بصوت واحد
« آخ » النار مطفاة تحت الطنجرة ، خفضت زوجتي النار شيئاً فشيئاً
حتى أطفأتها دون أن تدرك ذلك . فجلسنا والضيوف ناكل خبزاً مع
الجبن والزيتون لم نصبح أصحاب طنجرة بخار إلا بعد ستة أشهر من
شرائها لأننا بعد ستة أشهر تعلمنا طريقة استعمالها .

حقيقة ان طريقة تفكيرنا تغيرت وتطورت باستعمال طنجرة البخار .

اما الآن فقد بدأت زوجتي بشرح أفضال وميزات القسالة الأتوماتيكية .

جزمة باشا متقاعد

... ..
... ..
... ..

– انظروا إليّ . . . تعالوا إلي هنا ، آيات كل الموجودين ، اعطوني
إياها . . . هيا ماذا تنتظرون ؟ اعطوني إياها بسرعة . . .

– ماذا تريد ؟

– أريدها يا حبيبي . . . وماذا تريد ؟

– ما اسمها ؟! إن اسمها على طرف لساني ولكني لا أستطيع تذكره .

– أتريد أدويتك ؟

– لا ياروحي ، أريدها . . . التي كنت البسها منذ زمن .

– قبعتك ؟

– لا . . . لا توضع على الرأس ، تلبس بالأرجل .

– ما هو شكلها ؟

– أقول لكم إنها تلبس بالأرجل .

– أبو ااااا . . . تريد جرابك

– ياروحي ، إنني ألبس جرابي كما ترى . . . آه يا إلهي لا أستطيع

تذكر اسمها ، ألم تتذكروا انتم ؟

– تقول أنها ليست جراب ؟

– الأ يلبس شيء بالرجل غير الجراب ؟ الذي أقصده شيئاً يلبس

فوق الجراب .

٢ ٢ ... تريد شحاطك ؟

— لا ليس شحاطاً وهل ينزل إلى الشارع بالشحاط ؟ التي أقصدها شيء ويمكن أن تلبسها وتخرج إلى الشارع بها .

— قل إنك تريد حذاءك .

— لا .

— كلاشك ؟

— لا ليس كلاش .

— شحاط ، حذاء ، صباط .

كلهم بنفس المعنى ، الذي أقصده طويل جداً .

٢ ٢ ١ ١ ... تريد بوطك ؟

— أي بوط ! الذي أقصده له قصبة أطول من قصبة البوط .

— فهمنا تريد بوطك ذو القصبة الطويلة .

— لا ليس هو ما أقصده ياسيدي .

— حسناً ... ما اسمه ؟

— لو أتذكر لقلت اسمه ... عندما ينتعله الإنسان يصل حتى ركبته .

— هل تقصد الجزمة .

— آخ ... نعم ، احضروا لي جزمتي .

— وهل كان لديك جزمة ؟

— ادي جزمة ؟ طبعاً لدي جزمة ، ألم أكن ألبس جزمة فيما مضى ؟

يوجد صور كثيرة لي وأنا أنتعل الجزمة .

— لم نرك تلبسها .

— وهل رأيتم شيئاً في هذه الدنيا ؟ ما زلتكم أطفالاً .

— يعني أنك كنت تلبس جزمة .

— طبعاً كنت ألبس جزمة ، ولكن منذ زمن بعيد جداً ، منذ أربعين

أو خمسين أو مئة عام . لا أذكر ، إنه يازمن ، كنت ألبس جزمة ولكن
أية جزمة !؟

لم يكن في زمني أي رجل يعرف كيف يلبس جزمته أكثر مني .

— هذا فيما مضى ؟

— ماذا تعني ؟ هل تعتبر الأربعين عاماً زمناً قديماً ، لقد ولد

عيسى قبل ١٩٦٤ عاماً ، فكر قليلاً ؟ تجد وكأنه البارحة ... هيا هيا
احضروا لي ال ... ماذا كان اسمها ؟

— ماذا قلتم ؟

— نعم نعم ... احضروا جزمتي أريد جزمتي ، هيا ...

— وماذا ستفعل بها ؟

وماذا يفعل بها ؟ طبعاً سألبسها ، هيا بسرعة احضروا جزمتي .

— أين هي ؟

- ومن أين لي أن أعرف؟ ابحثوا عنها تجدوها، لاشك ستكون

في البيت .

ابحثوا في كل مكان في البيت ، لا تتركوا مكاناً حتى تجدوها .

- نخشى ان تكون قد نسيتها في مكان ما .

- كلا ياسيدي وهل أنسى جزمتي التي نسيتها؟! ... ماذا

تنتظرون؟ هيا جدوا جزمتي ، النسوة والأولاد والأصهار والكنكات

والخدم ، والطباخون بدؤوا يبحثون عن جزمة كانت تلبس منذ أربعين

عاماً ، ولكنهم لم يجدوا الجزمة ولاشيء يشبه الجزمة .

ابحثوا في الصندوق الموجود في غرفته .

ابحثوا في كل مكان في البيت ، لا تتركوا مكاناً حتى تجدوها .

- أين كان يخبئ أشياءه القديمة؟

ابحثوا في صندوق الخردوات؟

- لنبحث في خزانته .

- أخشى ان تكون قد بقيت في البيت القديم .

ابحثوا في كل مكان في البيت ، لا تتركوا مكاناً حتى تجدوها .

- ابحثوا تحت الكراسي والمقاعد .

- في خزانة المطبخ .

- ومن سيضعها هناك؟

- لا توضع هناك .

هل اعطيناها لبائع الأشياء القديمة؟

- ابحثوا في الخرج ، يوجد أشياء كثيرة في الخرج .

- غير موجودة في الخرج . اذن لاشك أنها ستكون في القبو ...
- وجدت جزمة بلاستيك مفردة غير أنها مليئة بالثقوب .
- لا ياروحي لا يمكن أن تكون هي .
- أخشى أن تكون في الغرفة الموجودة في الحديقة - لا . لا .
- أين ستكون اذا ؟ لم نجدها في أي مكان .
- في خزانة الاحذية
- بحثت هناك ولم أجدها - وهل بحثتم في الت . . . ؟
- نعم - ها هي .
- لا ياروحي هذه ليست جزمتي . هذه جزمة نسائية .
- وجدتها .. وجدتها !! . . .
- أين كانت ؟
- أخرجتها من تحت أكياس قديمة كانت موجودة في السقيفة « العلية » .
- احضروا جزمتي .
- لم يبق فيها شيء يلبس . مغطاة بالوسخ والغبار .
- امسحوها لموها
- في داخلها عنكبوت .

- نظفوها ..
- لا تلبس ، لا يوجد عليها بوياء ..
- ادهنوها .
- لقد بيست واصبحت مثل الخشب ..
- زيتوها
- تمزقت قصبتها - ليكن .
- انتزع سافلها .
- دقوا المسامير فيه
- وهل ستلبسها - طبعاً
- هل ستدخل رجليك فيها ؟
- كلا ... وماذا سيدخل فيها هاه .. ؟
- سنشتري لك بدلاً عنها
- لا يمكن لقد اعتادت رجلي عليها .
- هيا لنرى ... احضروا جزمتي ... اعطوني فردة اليسار ..
- هيا .. يا الله بسم الله ... لحظة لحظة ... لا تدفوني .. ادفعوا
الجزمة ... هيا كلنا مع بعض ... هوب هوب هوب ... هيا ... هوب
هوب هوب ... لقد دخلت قليلاً .
- إنك تلبس الجزمة بالخطأ ... هذه الفردة للرجل الأخرى .

– آخ يا إلهي ... لقد نسيت ، طبعاً هذه رجلي اليمين أين رجلي اليسار ؟ أقصد الفردة اليسارية أحضرها الى هنا .. جيد .. هيا من البداية لا تدفعوا بهذا الشكل إنكم تؤلونني كثيراً .. كم كنت البسها بسهولة ... كنت البسها بلمح البصر إيه يا زمن لقد خرب الزمان هيا ادفعوا ، لا تدفعوني انا يا شباب ادفعوا الجزمة – قليلاً بعد هيا ... واحد – اثنان – هووب ... لا تدفعوني نحو الجزمة بل ادفعوا الجزمة نحوي .

– لقد ضاقت

– من الذي ضاق ؟ رجلي ؟

– الجزمة .

– لا مفر لهدد الجزمة ، سألبسها مهما حصل

– يا إلهي إنها ضيقة جداً .

– ليكن

– أيواه ... لقد تمزقت

– لتتمزق .. لماذا لا تريد أن تدخل ؟ أخشى الا تكون هذه هي

جزمتي .

– أقسم إنها لك .

– فعلاً إنها لي ... قليلاً بعد هيا ... أفضل ... مساعدة أكثر

يا شباب ... ليس بهذا الشكل ... انكم تؤلونني ... ألم تروا في حياتكم كيف تلبس الجزمة ؟ الحمد لله .. لقد دخلت واحدة ، هيا هيا أعطوني الأخرى .

ولكن بقي كاخلك في الخارج .

- ليبقى المهم ان يدخل المشط ، هيا

- لقد استعصت

- ليكن ... ادفعوا قليلا ... امسكوا جيداً ... مساعدة

يا شباب ، دخلت ... تمام امسكوا يدي كي امشي قليلا ... امان ...

آخ آخ ... انها تضغط على رجلي آخ اخلعوها من رجلي هيا ...

يوجد فيها مسمار ، لقد دخل في رجلي هيا اخلعوها ...

- لا تخلع .

- وكيف دخلت ... إنها تؤلمني اخلعوها فوراً .

- لا تخلع

- مزقوها

- أين السكين ؟

- ألا يوجد شفرة ؟

- هل تنفع ماكينة الحلاقة الكهربائية ؟

- اعطني خنجرأ .

- وهل ينفع الساطور ؟

- هل يوجد ساطور ؟

- كلا لا يوجد

رجل الأعمال الذي يهوى الشعر

كان ذلك في العمر الذي أطلق فيه علينا لقب شعراء ، وكان آخر يوم في الشهر ولم اكن املك يومئذ سوى ليرتين ونصف الليرة ، ويعني ذلك أنني مجبرٌ على التوفير كثيراً ، مع أنه كان لـ . . «الليرتين والنصف» قيمة كبيرة في الأيام التي كنت فيها شاعراً . خرجت من العمل وذهبت الى البيت ، وكنت حديث العهد بالزواج ، قالت زوجتي بصوت حزين - لكم أتمنى أن تظنّ اذناها ، الله أعلم أين هي الآن -

- حبيبي حسن ، أرجوك لا تذهب اليوم الى أي مكان ، دعنا نتناول طعام العشاء سوية في البيت .

فكرت بالنقود التي معي وقلت لها وكأنني قبلت رجاءها :

- كما ترين يا حبيبتي .

● كان في تلك الأيام يجتمع فنانون أنقرة في مقهى يدعى / دفنن باشي « رأس الجميل » / يسكرون ويقرؤون الشعر ، ثم يتشاجرون ويتضاربون لقد ترك معظم الكتاب والشعراء المشهورين ذكريات في مقهى / دفنن باشي / .

● بدأ مللي يزداد شيئاً فشيئاً وأنا جالس في البيت ، لأنني لم اذهب الى المقهى ، اعتقد بأنني سأصاب بالجنون إذا لم اقرأ القصيدة الجديدة التي كتبتها للأصدقاء ، كنت أردد في نفسي مقولة :

« الله يلعن قلة النقود » ، التفت الى اليمين ثم الى اليسار ، تأوهت ، تأففت ، وفي النهاية أدركت زوجتي الحالة التي أمر بها . . . فقالت :

– حبيبي حسن ، إذا كنت تشعر بالملل وأنت جالس في البيت فلا
ضير من ذهابك الى المقهى لو اني املك النقود لما انتظرت دقيقة واحدة
ولهذا صرخت :

– إنك ترفضين الليلة الوحيدة التي قررت فيها المكوث في البيت .

– بكت زوجتي دون أن تشعرني بذلك ، وبعد قليل بدأت بتحضير
المائدة وهي تغني .

اصدقائي كثيرون ... آه لو يأتي احدهم ويقول « هيا ، لنذهب
الى المقهى » ولكن الأوباش لا يأتون ، عندما يكون لدي نقود ادعوهم
واشربهم خمراً حتى يسقطون تحت الطاولات ، إنني مخطيء بعض الشيء ،
فلو ذهبت الى المقهى لدعاني أحد الأصدقاء اصحاب الضمير الى كأس من
النيبيذ ولكن كيف قبلت اقتراح زوجتي بأن أبقى في البيت ؟ كما اني
لا استطيع ان اقول لزوجتي التي تحضر المائدة وهي تضحك وتغني بفرح
لانها ستتناول الطعام مع زوجها ... لقد مللت أريد أن اذهب ،
لا استطيع ان اترجع عن كلمتي أو أن اكسر خاطرها .

آه لو يأتي أحد الأصدقاء يقول « هيا يا حسن » آه لو يأتي ...

عندئذ لن تستطيع زوجتي أن تفتح فمها بكلمة واحدة .

لحظتها طرق الباب .

صرخت بفرح :

– من هذا ؟

فقال زوجتي : – جاء حيدر بك .

– آه ، كمال حيدر ؟ ... إنني اعلم بأنه أكبر شاعر في العالم ... حيدر

البطل ...

ونزلت المدرج مثنى مثنى وحضنت كمال حيدر وكأنني لم أره منذ
سنين علماً بأننا افترقنا في الأمس على باب المقهى .

– حبيبي حيدر ... تعال .. تعال يا أخي ... تعال يا روحي .

فقال كمال حيدر : – دعك من هذا ... ماذا سأفعل في البيت في
وقت كهذا ؟ هيا لنخرج .

همست بأذن كمال حيدر :

أرجوك تكلم بهدوء ، كي لا تسمعك زوجتي ... لقد رجعتني قائلة :

« لنتناول العشاء في البيت هذا المساء »

ولأني لا أملك نقوداً قبلت رجاءها : إنها تحضر المائدة ، ولا شك أن
الله هو من أرسلك إليّ .

– ليس الله هو من أرسلني إليك ، بل عدم وجود النقود في جيبني
هو من أرسلني إليك ، آتيت إليك لأني لا أملك قرشاً واحداً كي أذهب
إلى المقهى .

– واضح ... وهل كنت ستأتي لو أنك تملك نقوداً ؟

– هيا لتذهب ، ادعني لكأس من النبيذ .

– يا إلهي يا كمال حيدر ، أنا لا أملك نقوداً .

– إذا أبق في البيت كي تتناول العشاء مع زوجتك واسمح لي
بالانصراف .

– امسكت بذراعه قائلاً : – قف يا ... الا تملك ذرة إنسانية ؟
الا تخجل من تركي هنا وتذهب ؟

يوجد معي ليرتين سنشرب كأسين من النبيذ ونعود .

كانت الليرتان في تلك الأيام لا تكفي ثمن كأسين من النبيذ لكننا وحسب بل تكفي ثمن كأسين لكل واحد منا مع المقبلات أيضاً ، لو قلت لكمال حيدر بأني أملك ليرتين ونصف لتوجب علينا أن نشرب بكل النقود التي أملكها . . . ولأني أريد أن يبقى معي خمسون قرشاً لوجبة طعام الفطور قلت له بأني لا أملك سوى ليرتين .

قال : - لنذهب إذا ، ليرتان تكفي .

- اطمان ستكفي ولكن كيف سنخرج من هنا ؟ ستقول لزوجتي أن احد أصدقائنا مريض ودخل في غيبوبة ويجب علينا زيارته حالاً - أعرف أن كمال حيدر معلم في مواقف كهذه .

قالت زوجتي :

- الطعام جاهز .

فقلت لكمال حيدر :

- تفضل الى الطعام .

فقال بحزن بالغ .

- إن نيازي مريض جداً . . . لقد دخل المسكين في غيبوبة ويردد اسمك باستمرار .

- يا إلهي . . . لقد حزنت كثيراً .

- لا أستطيع أن أجلس ، أتيت فقط لإخبارك بالأمر ، لن تأتي معي؟

- لتتناول طعامنا ونذهب .
- آخ المسكين يلفظ انفاسه الأخيرة وأنت تفكر بالطعام ...
- معنى هذا أن مرضه خطير .
- لا اعتقد بأنه سيعيش حتى الصباح ... أنا ذاهب .
- نظرت لوجه زوجتي فقالت :
- يجب أن تذهب ، ولكن لا تتأخر سأنتظرك لتتناول طعامنا سوية .
- لا ... لا تنتظريتي ، تناولي طعامك يا حبيبتى ، فقد أتأخر كما
ترين إنه يقول أن مرضه خطير ... المسكين نيازي .
- لبست معطفي وركضت الى الشارع .

عندما وصلنا مقهى « دفنن باش » كان مزدحماً جداً فقد جلسوا مجموعات على الطاولات ، أرباع وأنصاف الفنانين ، مرشحوا فنانين ، فنانون مخضرمون وعتيقون حتى رؤوس أظافرهم ، كانوا يتصايحون ، يتناقشون ويقرؤون الأشعار ، حاولنا أن نجد مكاناً فارغاً بين تلك المجموعات ولكن محاولتنا باءت بالفشل ، وهذا يعني اني لن أستطيع أن أقرأ أشعاري إلا أمام كمال حيدر وفهمت من ملامح كمال حيدر الحزينة بأنه لن يستطيع أن يقرأ أشعاره لسواي . وبعد محاولات عديدة استطعنا أن نجد مكاناً في البوفيه لنسند أرافقتنا عليه وطلبنا زجاجتي مشروب مع المقيلات .

دل كمال حيدر على رجل يجلس خلفنا وحيداً على إحدى الطاولات
وقال :

- من هذا الرجل ، اعرفه ؟

لفظه لكلمة «هذا الرجل» يعني أنه لم يشبته لرواد هذا المقهى ، كان الرجل يرتدي ثياباً تليق بأفخم كازينو في المدينة .

قلت : - لقد رأيته هنا ثلاث مرات ولكني لا أعرفه .

- نعم إنه يجلس على هذه الطاولة بمفرده منذ ثلاث ليالي ، كل ليلة انظر الى هذه المائدة التي أمامه .

فعلاً . - لقد وضع الرجل على طاولته من كل الاصناف الموجودة وغير الموجودة في المقهى .

فقال حيدر بيك : - لا شك ان هذا الرجل مخبر سري .

فقلت : - لا أعتقد .

- ولماذا ؟ - لو دققمت في طاولته لما سألتني ، فلا أعتقد ان الدولة ستخصص كل هذه المائدة لمخبر يلاحق بعض الشعراء .

بعد ذلك نسينا الرجل الجالس على طاولته وبدأنا نقاشنا ، كنت أنتظر بفاغ الصبر كي أقرأ اشعاري الجديدة ولكن كمال حيدر كان صاح كعادته فسبقني بقراءة اشعاره وبعد انتهائه سألتني :

كيف وجدتها ؟

فأجبت باختصار كي أقرأ اشعاري بسرعة - إنها مذهشة .

- بقيت قصيدة واحدة ، إنها أجمل ما كتبت ، وبعد أن قرأها سألتني

- كيف كانت ولأني سأسأله بعد قليل عن رايه بقصائدي قلت :

- إنها من روائع الادب العالمي .

- إنها عادية ، سأقرأ لك ما هو أجمل منها اسمع .

وهكذا ، قرأ كل قصائده ، فرغت الكؤوس وانتهت المقبلات التي
أماننا ومع ذلك لم أستطع قراءة أشعاري قال كمال حيدر :

- ما هذه المعاناة من قلة النقود ؟ لا نستطيع أن نشرب بعد لأننا
لا نملك نقوداً .. يا لهذه الدنيا غير العادلة ، يا لهذا الوطن القاسي ،
إننان من شعرائه الشباب لا يملكون خمساً وعشرين قرشاً كي يشربوا
كأسين آخرين من النبيذ .

قلت : ما زلت املك خمسين قرشاً ، احتفظت بها من أجل طعام
الغطور غداً ، سنشرب بها كأسين من النبيذ ، لكن بشرط الا تقرا اشعارك
لأنني أريد أن أقرأ أشعاري .

- طبعاً يا أخي ، لقد أتى دورك ، اقرأ يا أخي .

وبعد أن وضعنا كأسين من النبيذ أماننا ، بدأت بقراءة أشعاري ،
ولكن كمال حيدر لم يتفوه بآية كلمة سألته قائلاً :

كيف وجدتها ؟

- إه... ليست سيئة .

انزعجت كثيراً ، هذا هو كمال حيدر ، حقير جداً ، ويتصرف دائماً
بحقارة يقرأ أشعاره في البداية ، ويطلب رأي المستمعين ، فيرفعوا
أشعاره الى السماء بقولهم « مدهشة ، إبداع عالي » ظناً منهم أنه
سيثني على أشعارهم على كل حال ولكنه عندما يسمع أشعار الآخرين ،
يتأفف منها بحجة أنها غير جميلة طبعاً نحن لن نستطيع أن نتراجع
ونقول له :

« إن أشعارك غير جميلة ولا تساوي عشرة قروش » لأننا أبدينا
اعجابنا وانتهى الأمر .

وبعد ان تحدثنا عن الأدب والفن قال كمال حيدر :

– انظرا الى هذه القيمة التي تعطىها بلدنا للفنانين ، لا نملك اجرة
الباص الذي سيرجعنا الى بيوتنا نهضنا متجهين الى باب مقهى دفنن باش
فقطع الرجل الذي يجلس على الطاولة بمفرده طريقنا فجأة وقال :

– عذراً يا سادة ، لو رجوتكم فهل تقبلون تشريفي بجلوسكم معي
على نفس الطاولة ؟

قلت : – أستغفر الله يا سيدي .

قال كمال حيدر :

– لا شك أنه مخبر سري ، يريد أن ينتزع الكلام من أفواهنا .

قال الرجل : – ستحيون الجلسة .

جلسنا على الكرسي التي احضرها النادل ، همس كمال حيدر
بأذني قائلاً :

– لا شك أن هذا الرجل لم يسمع حديثنا بشكل جيد .

كما يبدو ان بداخل كل منا رغبة داخلية بأن نسمعنا مخبر سري
كي نفتح أنفسنا بأهمية الحديث الذي دار بيننا وبعد سنين فهمت بأنه
كان لدينا رغبة لا شعورية بأن تضع الدولة رجلاً مأجوراً كي يلاحقنا
وبذلك سيزيد احساسنا بأهمية ما نقوم به ، قلت لكمال حيدر بصوت
منخفض :

– وتلك ، وهل ما نتفوه به له اية أهمية كي تصفي الشرطة له ؟

- ستري بعد قليل ، سياخذنا هذا الرجل الى مديرية الامن فوراً .

عرف الرجل بنفسه :

- محرم اوسكورجو ، متعهد طرقات .

فقال كمال حيدر : لا شك أنك تعرفنا .

فقال محرم بيك .

- كلا ، لا اعرفكم .

غضب كمال حيدر كثيراً وقال :

- الا تعرفنا ؟ كيف ذلك ؟ الا تعرف باني كمال حيدر ؟ الشاعر كمال حيدر .

- تشرفت بمعرفتك .

- معنى ذلك أنك لا تعرف كمال حيدر ... ألم تسمع باسمه ؟

- هل طبعت كتاباً ؟ لم اقراه .

- يوجد لدي كتاب ولكني لم اطبعه وسيصدر قريباً ، انشر

اشعاري في الصحف والمجلات ، لا اشك انه اقتنع بأن الرجل ليس مخبراً سرياً فقال :

- حسناً يا سيدي ، ما دمت لا تعرفنا ، لماذا دعوتنا الى طاولتك؟

فقال المتعهد :

- آتيت الى أنقرة منذ أسبوع لانجاز بعض الأعمال . لقد أعجبتني هذا المقهى ، فلا أجد إلا الشباب الواعين والفنانين ، إني أحب الشعر كثيراً ، لقد كتبت الشعر عندما كنت شاباً ، وبعد دخولي الى الحياة العملية وأصبحت رجل أعمال ابتعدت عن الأدب ، إني أتحسر دوماً على هذه الأشياء الجميلة لقد استمعت الى حديثكم دون قصد مني كم كان حديثكم رائعاً وجميلاً . كله عن الشعر والفن .

معنى هذا أن الرجل سمع شكوانا عن قلة النقود، وعلم أننا لا نملك خمسين قرشاً ثمن المشروب ولهذا أشفق علينا ودعانا الى طاولته .
قال الرجل :

- أردت أن أتعرف على شاعرين عن قرب كي أستفيد من أحاديثكم الجميلة .

قال حيدر بيك :

- تعرف ... هيا انظر إلينا وتعرف ... لترى عيناك شاعرين عن قرب .

حاول رجل الأعمال أن يغطي على قلة الأدب الواضحة التي أبدأها كمال حيدر بكلمتين جميلتين ولكن كمال حيدر أكمل وقاحته هذه المرة قائلاً :

- يوجد رجال أكثر من أمثالك يظنون أنفسهم شعراء لأنهم كتبوا في شبابهم قصائد شعرية ...

شاعر مغفل ...

قال رجل الأعمال مظهراً ابتسامة مصطنعة :

- إنك محق في ذلك .

لو كنت جالساً بجانب كمال حيدر لدعست على قدميه كي ينتبه
لكلامه أكثر ولكن ما العمل ؟ ونحن نجلس وجهاً لوجه ؟

قال رجل الأعمال بخصوص الأكل والمشروبات :

– ماذا تأمرون ؟! أرجوكم أن تطلبوا ...

فقال كمال حيدر :

– أنا لا أشرب مع رجل يحقر الشعر .

ركلت كمال حيدر بقدمي من تحت الطاولة .

قال رجل الأعمال :

– أي تحقير ؟ أنا أحترم الشعر كثيراً .

– إن محاولة أمثالك لكتابة الشعر تعتبر أكثر تحقيراً له .

ما زال الرجل يحاول أن يحول كلام حيدر الى نوع من المزاح :

ابتسم بصعوبة وقال : – والله ما تقوله صحيح .

بدلت كرسيي وجلست على كرسي بجانب كمال حيدر .

نادى الرجل للنادل وسألنا :

– أرجوكم اطلبوا ما تريدونه يا سادة .

قلت : – أستغفر الله ، لا نريد شيء ، فهذه الطاولة كاملة
ولا ينقصها أي شيء .

قال كمال حيدر بعد ان نظر الى المأكولات والمشروبات الموجودة على الطاولة :

- الا يوجد سمك بالزبدة ؟

- لا يوجد

- ليحضروها ... الا يوجد بيض الجدي ؟

- لا يوجد

- ما دامت غير موجودة أريدها ...

طلب كل ما خطر بباله من مأكولات ووضعها على الطاولة .

دنوت من أذنه وقلت :

- يا كمال حيدر ، لا أرى تصرفك لائقاً .

فهمس بأذني :

- إنه قليل الشرف والأخلاق ... ولك بأي حق يقدم لنا كل هذه المأكولات والمشروبات في الوقت الذي لا نملك فيه ثمن تذكرة باص .

لقد سمع الرجل شيئاً من حديثنا الذي دار بيننا مؤخراً فاسود وجهه وتغير لونه . لقد أحضروا كل المأكولات التي طلبها ، فبدانا بالشرب من جديد كان كمال حيدر يشرب كؤوس النبيذ بجنون .

كان رجل الأعمال يتحدث عن أسفه وأنه لتركه عالم الشعر ودخوله خضم العمل وعن محبته للشعر بلغة رقيقة ، وفجأة صاح كمال حيدر قائلاً :

– اسكت ولا اا . . . لم نأت الى هنا كي نستمع الى حديثك .

ثم التفت إليّ وقال :

– هيا ، اسحب واحدة من قصائدك .

فقال رجل الأعمال :

– إيه . . . لو سمحت . . .

فقرأت واحداً من قصائدي ثم تبعتها كمال حيدر بوحدة من قصائده ونحن نشرب ونشرب دون توقف . انحنى كمال حيدر على الطاولة ومدّ راسه نحو رجل الأعمال وقال :

– هيه . . انت . . هل تعرف اراغون ؟

– من ؟

– اراغون . . .

– وماذا يعمل هذا الاراغون ؟

– هل تعرف رامبو ؟

– كلا .

– فرلين ؟ – من ؟

– هل قرأت دستوفسكي ؟

– أهذا اسم رواية جديدة صدرت حديثاً ؟ لم أرها بعد .

كان كمال حيدر يسأل بكل هدوء .

– حسناً ، هل رأيت راسل ؟

– أين .

– لير منتوف ؟ – كلا .

فقال كمال حيدر بنفس اللهجة الهادئة :

– وَاك يا حيوان ... ما دمت لا تعرف أراغون ولا رامبو ولم
تسمع بفريين ولم تقرا دستوفسكي ولم تسمع بكمال حيدر فبأي حق
تدعونا الى طاولتك في الوقت الذي لا نملك فيه ثمن كأس مشروب ؟

فجأة اكفهر وجه الرجل كوجه البحر الذي هجمت عليه عاصفة
بحرية وتابع كمال حيدر بنفس اللهجة الهادئة :

– ولك ما دمت لم تقرا شتاينيك ولا تعرف فييتنام ولا تعرف
راسل ولا توماس فلماذا تعيش ؟

– ولك هل تحسب نفسك رجلاً ؟ بأي حق تأكل كل هذه المأكولات
والمقيلات ؟ كل خرا ... ضغط الرجل على أصابعه بغضب ضغط
... ضغط وهجم على كمال حيدر وهو يقول :

– يا أيتها الكلاب الجائعة ، يا ذوي الجيوب الفارغة الستم الذين
تنوحون هنا منذ الصباح لأنه لا يوجد معكم ثمن المشروب الذي
ستشربونه ؟ آ آه ؟ ظننتكم رجالاً ودعوتكم الى طاولتي هل فعلت شراً
لأنني اطعمتكم وأشربتكم ؟ آ آه ؟ يا ثرثريون ...

تدخلت محاولاً تهدئة الرجل فقلت :

— أرجوك يا سيدي لا تؤاخذه إنه ثمل... —

ولكن كمال حيدر استمر بلهجته الهادئة :

— لا تعرف هذا ولا تسمع بذلك ؟

— أيها المتطفل الخنزير ، بأي حق تكسب هذه النقود .

انفجر رجل الأعمال بعد أن كاد يهدأ .

— ولك لعنك الله هل عادت الحياة لبراغيثك بعد أن شبعت أيها

الثرثري أيها الكلب الجائع الحمد لله أني هجرت الشعر منذ زمن وإلا
لأصبحت ثرثرياً مثلكم الآن فهمت لماذا لا تعطي حكومتنا أهمية لامثالكم
ويتركونكم جائعين إذا هذا هو السبب .

لو صمت كمال حيدر لهدأ الرجل لكنه لم يصمت فهجم الرجل
على كمال حيدر من فوق الطاولة... أمسكه من ياقة معطفه وسحبه
إلى الخارج .

لم يستطع كمال حيدر الإفلات من يدي الرجل الذي راح يضربه
وكمال يئن تحت ضرباته قائلاً :

— ولك خنزير بأي حق تدعوننا إلى طاولتك ؟ نحن شعراء ولا اااا يا

حيوان لا تعرف أراغون ولم تسمع بفرلين أليس كذلك ؟

— خذ هذه لأرغوان... خذ هذه أيضاً ل... لا أهراف اسمه... —

خذ هذه من أجله خذ أيضاً لبقية الذين ذكرتهم .

سقط رجل الأعمال الضخم على الأرض في أسفل الجدار قائلاً :

— لقد تعبت و .. ساموت ... يا إلهي... قلبي .

أما كمال حيدر فقد سقط بجانب الجدار الآخر ولم يستطيعا الحركة بعد ذلك ، فبدأ بقذف الشتائم .

– يا عديم الاخلاق ، لم تسمع بعد باسم لارمنتوف .

– ايها الكلب الجائع ... ابن الشوارع .

– ليس من حق أي شخص لا يعرف يوشكين أن يدعوني لكأس

شراب .

– هل أصبحت رجلا عندما امتلأت معدتك؟

لم يكن بإمكانهما الصراخ أكثر من ذلك ثم بدأ يتراشقان الحصى الصغيرة الموجودة حول كل منهما وبعد أن تعبنا من حرب الحصى هذه بصق كمال حيدر من مكانه على رجل الأعمال :

– تفوو ...

– فرد رجل الأعمال ... تفوو .

لم يعد باستطاعتها عمل أي شيء سوى البصاق على بعضهما وبعد فترة وجيزة انقطعت أنفاسهما فسقط كمال حيدر وأما رجل الأعمال فقد أغمي عليه أو لعله قد مات .

قام الأصدقاء الذين كانوا في الحانة لحمل كمال حيدر الى سيارة أجرة ونقلوه الى بيته وبقي رجل الأعمال في مكانه فلم يلمسه أحد على الأغلب أخذه عمال الحانة الى الداخل .

لقد مرت أعوام على هذه الحادثة الا تشوق لمعرفة نهاية الحادثة؟! قبل فترة كنا نتناول مع بعض الأصدقاء طعام العشاء في / كاريبيج / عندما أتى أحد الرجال الى جانبي وقال :

– هل عرفتني ؟

– وعندما روى الحادثة تذكرت أنه هو رجل الأعمال الذي جرت معه الحادثة قال : – لقد نسيت اسمك .

قلت : – حسن .

– وما اسم صديقك الذي تشاجر معي ؟

– كمال حيدر .

قال رجل الأعمال :

– أتعلم إن صديقك كان محققاً وقتئذٍ ، وأنا لم أكن على حق .

صمت قليلاً ثم تابع :

– من المؤكد أنه كان على حق . . . إنني أقبل أن ابدل موقعي بكل ما أملك مع ذلك الشاعر ، ولكن أمراً كهذا لا يباع ، الله اعلم كم كتاباً صدر له حتى الآن ومع ذلك لم أرَ أيّاً منها حتى الأسماء التي ذكرها في تلك الليلة الى الآن لم أسمع بها .

وبعد فترة صمت ، تابع قائلاً :

– ماذا يفعل الآن ، كمال حيدر بيك ؟

– الآن ؟ . . . إنه موظف في / الإدارة المحلية / إنه يعمل رئيساً في إحدى دوائر الطرق العامة .

– رائع ، هل صدر له كتاب ما ؟

– لا أعلم . . . اعتقد أنه صدر له في تلك الأيام كتابان أو أكثر .

— ممتاز ... وانت ماذا تعمل ؟

— أنا .. أنا دخلت الى اعمال كثيرة ولكني لم افلح والآن اعمل
مع متعهد .

— ممتاز .

في البداية مسحت وجه رجل الاعمال مسحة فرح ثم قال بحزن :

— وأنا أيضاً كتبت قليلا من الشعر في شبابي .



هنا البليد

كنت أشعر بمللٍ فظيعٍ عندما خرجت من البيت . عندما أكون متشائماً أشعر بأنني قريب من الأرض ، لا بل متحدأً بها ، أصفر ... أصفر ... تقصر قامتي أكثر مما هي عليه . يضغط الهواء على جسدي من الأعلى ويجذبني التراب الى الأسفل .

كنت أعبر زقاقنا عندما جاءني رجلٌ وقال :

— يا سيدي ، أرجو المَعذرة ، الست حسن يازمَن ؟!

— نعم .

ضغط على يدي وقال :

تشرفت بمعرفتك يا سيدي ، إن عائلتي مدمنة على قراءة مقالاتك . أه يا سيدي ، يا لروعة ما تكتب ، يا لمُعظمة مقالاتك .

صار جسدي يتضخم كلما تكلم أكثر وكلما زاد بمدحي أكثر ، علماً أنني كنت منذ قليل كإطار سيارة فارغاً من الهواء ، طبعاً ، تصنعت التواضع كما يفعل كل كاتب مشهور .

مشيت قليلاً ، فسمعت رجلاً يقول لإمرأة تمشي بجانبه وهو يشير نحوي :

— شيشت .. هيه ... هيه ... انظري ... حسن يازمَن

قادم

إن قامتي تطول باستمرار ، لقد أدركت طول قامتي من خلال لوحات المحلات التجارية التي أصبحت تحت مستوى رأسي . وصلت الى موقف الباص ، قال رجلٌ يقف في الموقف :

– بينما كنت أبحث عنك في السماء وجدتك على الأرض ، إن لم أخطأ أنت حسن يازمَن اليس كذلك ؟ .

ومن جديد قلت بتواضع مصطنع :

– نعم .

– يا إلهي ، سلمت يدك ، يا لجمال ما تكتب ، أنا أقرأ مقالاتك منذ خمسة وعشرين عاماً .

– أدامك الله .

كم كان هذا الرجل قصيراً ... كم كان قزماً . كنت أنظر إليه من الأعلى .

– إنني أقرأ كتاباتك بإستمرار ، منذ أول مقالة وحتى الآن ؛ أقرأ كل شيء أجده لك في الصحف والمجلات .

– شكراً جزيلاً .

ضفط الرجل على يدي باحترام وذهب .

أشعر ، عندما أكون متفائلاً بقرب رأسي من السحاب .

جاء الباص ، صعدت إليه ، رفع أحد الركاب قبعته باحترام وسلم قائلاً :

– إنني من المعجبين بك .

خجلت كثيراً ، أقصد ، تصنعت الخجل وقلت :

– أستغفر الله يا سيدي .

لا اعرف لماذا يصنعون الباصات ضيقة بهذا الشكل وسقوفها منخفضة جداً إنها لا تسعني ، يضرب جسدي هنا وهناك ...

تابع الرجل كلامه :

- وأبي أيضاً من المعجبين بكتاباتك ، كل المائلة تقرا كتاباتك يا حسن بيك .

- إنك تبالغ في مدحي يا سيدي .

وقال مسافر آخر :

- وأنا أيضاً معجب بك منذ زمن يا سيدي حسن بيك . وأحب أن أتعرف عليك أكثر ، وقد شاءت الصدفة أن أراك هنا ، لا اعرف كيف سأعبر عن اعجابي بك .

كاد رأسي أن يخرج من سقف الباص ، أنا لا اعرف لماذا يصنعون سقف الباصات منخفضة الى هذا الحد . الا يعرفون بأنني سوف أركب تلك الباصات؟! .

كنت أنوي الذهاب الى « الكاضي كوي » ولكنني نزلت في احد المواقع لأن الباص كان ضيقاً جداً ، وبدأت أنتظر السرفيس .

- يا سيدي ، لست مخطئاً إن قلت بأنك حسن يازمن اليس كذلك؟! .

- نعم يا سيدي ، لست مخطئاً .

- آه يا سيدي ...

كبر حجمي أكثر وأكثر .

— سلمت يداك يا حسن بيك ، إنك تكتب بشكل رائع .
استطالت قامتي أكثر وأكثر .

صعدت الى السرفيس وجئت الى الميناء ، ولكن ماذا فعلوا بالميناء ؟
لقد صغروا حجمه كثيراً ، إنه ضيق للغاية .

— انظروا ... انظروا ... هل رأيتم حسن يازمن ؟!
— اهذا هو ؟ يا إلهي ...

مددت يدي الى شفتي العليا ، احزروا لماذا ؟ كي افتتّل بشاربي ...
تفووو ... يا إلهي ليس لديّ شوارب ، الرجل الحقيقي هو من يرخي
شاربيه ، وفي مواقف كهذه يجلس ويفتّل بهما ... سيكون مشروع
رخيّ شاربيّ من أولى مشاريعي ، لأن الشوارب تنفع في مواقف كهذه .
— شيشت ... انظر من هنا ؟ إنه حسن يازمن .

وبدون أن أدري ذهبت يدي الى شاربيّ وكأنهما موجودان ، آه ..
لو كنت أملك شوارب كي افتلّ بهما . إنهم يسخرون قائلين : « والقطعة
أيضاً تملك شوارب » .. ولكنها لا تستطيع أن تفتّل بهما .

اقتربت الباخرة من الساحل ، حسناً ولكن كيف سأصعد عليها ؟
إنها ضيقة جداً ولن تسعني ... أتريدني أن أغرق الباخرة ؟

فتّح باب الميناء ، انحنيت كثيراً كي لا يصطدم رأسي بأعلى باب
الميناء وهكذا استطعت المرور مع أبي أعلم أنني حتى لو قفزت فلن الأمس
أعلى الباب بيدي .

كان الميناء يهتز بقوة من تأثير ثقلي ، وعندما وضعت رجلي في الباخرة اهتزت يميناً ويساراً . فذهبت مباشرة الى منتصف الباخرة ، وبهذا حافظت على توازنها ولولا ذلك لكان من المؤكد ان الباخرة ستقلب .

يا سيدي ، يجب ان يخصصوا باخرة خاصة للكتاب المشهورين امثالي .

ما هذا يا اخي ؟!

كل شخص يشير إليّ ، كم هو صعب ان يكون الإنسان مشهوراً .
لا يمكن أن يرتاح ابداً

عندما دخلت الى صالون الدرجة الممتازة انخفضت مؤخرة الباخرة ، ولم يفهم أحد سواي سبب انخفاض مؤخرة الباخرة ، جلست على أحد المقاعد بصعوبة ، إنهم صنعوها ضيقة جداً لدرجة أنها لا تتسع لشخص واحد .

تحركت الباخرة ، كل الركاب ينظرون إليّ ، طبعاً ، ولم لا ينظرون ؟ ! فكم حسن يا زمن موجود في هذه الدنيا ؟ ! فليمتعوا أنظارهم برؤية حسن يا زمن . مددت يدي الى شفتي العليا ، تفووه

يجب أن يكون لي شاربان في موقف كهذا ، استدرت الى الخلف ونظرت من طرف عيني أووو مجموعة كبيرة من الرجال والنساء ، أشار أحد الرجال نحوي :

— انظروا ... انظروا ... إنه حسن يا زمن .

فسأله الذين حوله :

— أي واحد ؟

كدت أقفر قائلاً « أنا ، أنا حسن يا زمن » ولكني تمالكني نفسي .

— إنه يجلس أمامنا .

— اااا .. أهذا هو ؟

إنني مستغرب كيف لا تفرق هذه البلاد ، فألى الآن يوجد أناس لا يعرفون حسن يا زمن العظيم ، يا إلهي ... استدرت أكثر كي يروني بشكل جيد . صدقوني إذا قلت أنني لم أكن أستدير بملء إرادتي ، بل بدون أن أشعر . كأن جسمي قد تضخم بواسطة منفاخ هواء .

— إنه هو ..

— لا يا أخي ، لا يمكن أن يكون هو .

— أقسم أنه هو .

— لا يمكن يا أخي ... إن هذا واحد من المتسكمين .

قالت الجملة الأخيرة إحدى النساء ، ... وَاَلِكِ يَا أَيُّهَا الْعَاهِرَةُ
وماذا في شكلي يدل على أنني أحد المتسكمين .

ويدؤوا بعد ذلك بنقاش حاد . واحد من المجموعة كلها عرفني
بينما زعم الآخرون بأنني لست حسن يا زمن .

— إنه حسن يا زمن بشحمه ولحمه .

— يا أخي لا يمكن أن يكون حسن يا زمن .

— ولماذا؟!!

— انظر الى منظره .. إنه لا يشبه البشر ... إنه كائن غريب .

أوف ... ما هذا الحر الذي في الباخرة ..؟! ..

— أقسم أنه هو ..

— هذا البليد؟! لا يمكن ... إن هذا الموبوء عاجز عن ربط كيلوته.

تفوه ... لعنكم الله لماذا يصنعون مقاعد الباخرة واسعة
الى هذا الحد؟! .

— إذا ، هل تقصد أن هذا الرجل هو من يكتب تلك المقالات
الرائعة؟! .

— طبعاً .

— هيا ... لا تقل هذا ، انظر الى منظره ، إنه أحد المتسكعين ...
ثم كيف لشخص مثله أن يكتب تلك الكتابات الرائعة ، لا يمكن يا أخي
لا يمكن أن يكون هذا هو حسن يا زمن .

— يا أخي ، أنا أعرفه تماماً ، إنه هو بذاته .

— لا شك بأنك تشبّهه ، ومع ذلك فلا يمكن أن تشبّه مخلوقاً
كهذا لحسن يا زمن ، يا له من مخلوق عجيب .

غطست قدر استطاعتي في المقعد كي لا يروني ، يا لكبر الباخرة
ويا لوسع الصالون .

— قولوا ما شئتم ، ولكنني منصرّ على أن هذا الرجل هو حسن
يا زمن .

— لا تقبل رجلاً . . . ، إنه مزيج عجيب ، انظر إليه ، لا يستطيع أن يجلس مثل البشر ، يستطيع مخلوق كهذا أن يكتب تلك الروائع ؟ .

— إنه يستطيع يا أخي ، يستطيع .

— لا يستطيع ، ومن أين له المقدرة على الكتابة ، إنه متسكع بكل معنى الكلمة ، يا له من بليد . . . لا أصدق أبداً بأنه يستطيع أن يكتب مقالاً .

— لقد قلت كل ما أراه ، لا يوجد أية ملامح تدلُّ على الذكاء في منجَّاه .

— لماذا لا تصدقوا أنه هو ؟ ! أقول لكم إنني أعرفه جيداً . أكون عديم الشرف إن لم يكن هو بذاته .

— ولكنك ماذا تقول ؟ أيمن أن يكون هذا الحيوان هو حسن يا زمن ؟ معنى هذا أن حيواناً كهذا هو من يكتب تلك المقالات الرائعة .

الذهب من هنا ؟ ولكن في حال مغادرتي سيصبح الوضع أسوأ بكثير ، إذ أنهم سيحدقون بي أكثر ، لماذا خرجت من البيت إلى الشارع ؟ إنني أصفر وأصفر ويتضاءل حجمي أكثر أكثر ، أكاد أن لا أرى . . . آه لو تقترب الباخرة من الشاطئ كي أقفز منها . وأذهب بعد ذلك إلى البيت .

— تقول إنه حسن يا زمن ها . . . ؟ . . . قه . . . قه . . . قه . . . لم يكن في نيتي الضحك . .

— أقول إنه حسن يا زمن فلتصدقوا إن شئتم أو لا تصدقوا . .

— ولكنك ، رجل كهذا لا ينحى له أن يسكب ماءً على يدي حسن يا زمن .

- ضع هذا الرجل في الساحة العامة واعرضه على الجماهير ليتفرجوا عليه ويستمتعوا بمظهره .

- ولكن يا سيدي ، اية مقالات رائعة تلك التي يكتبها حسن يا زمن ، إنها تدل على أنه شعلة من الذكاء ، انظر الى هذا الرجل إنه بنام واقفاً .

سقطت السيارة المشتعلة من يدي ، فحاولت إن أشعل سياركة أخرى وعندما أمسكت عود الثقاب بيدي المرتجفة سقط على جسدي ، آه يا إلهي .. لو تقرب قليلاً من الشاطئ .

- هل أنتم منصرون على أن هذا الرجل ليس حسن يا زمن ؟
- طبعاً ، ليس هو .

- حسن ، وكيف عرفتم ذلك ؟ هل لكم به سابق معرفة ؟

- أنا لا أعرفه ، ولكن لا يمكن أن يكون هو هذا الرجل . فكيف

لحقير كهذا أن يكتب تلك الكتابات الرائعة والمقالات الجريئة .

- إذا كان العقل موجوداً فالتفكير ايضاً يكون موجوداً .. انظر إليه انظر .. أيعقل أن يكون هذا هو حسن يا زمن ، لا تضحكني أرجوك .. واحد فقط ، من مجموعة مؤلفة من أكثر من عشرة أشخاص يقول بأنني حسن يا زمن ، والآخرين يدعون عكس ذلك .

- حسن ، أتراهنون على ذلك ؟

- نراهن على ما تريد .

- أتراهنون بعشر ليرات ؟

- نعم .

- ادفع خمسين ليرة إن كان هذا الخ ... هو حسن يا زمن ،
سأخسر خمسين ليرة .

- وأنا أراهن على غداء ...

- وأنا ادفع مئة ليرة ...

- حسن ، أقبل بذلك ...

- جيد ، ولكن كيف ستعرف إن كان هذا الموبوء هو حسن يا زمن

أم لا ؟!

فقال الشاب الذي يدعي بأنني حسن يا زمن :

- لنذهب إليه ونسأله .

- حسن ، لنسأله .

- أنا لا أصدقه إن قال « أنا حسن يا زمن » فقد يفخر بذلك

ويدعيه .

- ثم يوجد أكثر من شخص اسمه حسن وقد تتشابه الألقاب .

- سنسأله إن كان كاتباً أم لا ، ولنسأله إن كان يكتب تلك المقالات

أم لا ، الديكم اعتراض ؟!

- حسن لنسأله .

ايواه ... ماذا سيحدث الآن ؟ يا ليتني ما كنت حسن يا زمن ،

ويا ليتني ما كتبت تلك المقالات .

نهضوا واتجهوا نحوي ، إنني اسمع وقع خطاهم ، قفزت بخطوة واحدة ... يا إلهي ... الشاطيء ، الميناء ، الباخرة ، نعم الباخرة تقترب من الشاطيء واختلطت مع الزحام ، صاروا يصرخون خلفي :

— يا سيد .. يا سيد ...

— دقيقة من فضلك ...

— حسن بيك .

ولكن هيهات ... من يسمعهم ... وأنا أركض بين الزحام .

— هيه ... أنت .. يا سيد ...

كان بين الشاطيء والباخرة أربعة أمتار ، على ما أعتقد ، حين قفزت . لا بل طرت ... طرت ولكني لا حنط في حوض موظف البلدية الذي يعمل في الميناء .

— تعال قليلا ..

دخلنا الى غرفة البلدية ...

— ستدفع عشرين ليرة لأنك قفزت من الباخرة قبل وصولها الى الشاطيء . مباشرة قدمت له ورقتين من فئه العشر ليرات ، وحاولت الهرب ، ولكنه قال :

— انتظر قليلا من فضلك ، أريد أن اعطيك وصلا ، ما اسمك ؟

نظرت الى عيني موظف البلدية ، نظرت بشكل جيد ..

— ما اسمك ؟

توفيق افندي ابو الشوارب

التي كانت تسمى "الزوجة الموقرة" ، وكانوا يترقبونها بقلق شديد ، وكانوا يترقبونها بقلق شديد ، وكانوا يترقبونها بقلق شديد .

قلت له عندما كنا نفترق .

أقدم تحياتي لزوجتك الموقرة .

إنه رجل أخلاقي وذو تربية حسنة ، وما أن سمع ما قلته حتى عبس وبصق بغضب وكأنه شعر بمرارة شيء ما داخل فمه . ودهشت حين قال :

أية زوجة موقرة ... أية زوجة ؟

كررت قائلاً :

زوجتك ...

فقال بإصرار :

ليس لدي زوجة ...

لو طلب مني نموذج للعائلة المثالية ، لأشرت دون أدنى تردد الى هذه العائلة . إذ انهما يحترمان بعضهما ويحبان بعضهما كثيراً ، فلقد أسسنا عشراً زوجياً ، أجرم بنسبة تسعة وتسعين وتسعة بالعشرة أنه لم يحصل بينهما أية مشاجرة أو ملامسة أو حرب أو ضرب أو أي شيء من هذا القبيل هكذا عرفنا هذه العائلة .

يقال بأن الأولاد هم الذين يربطون الرجل بزوجه ، ويحمون العائلة من الشجار والانفصال . غير أن هذين الزوجين ليس لديهما أولاد ، ومع ذلك فهما سعيدان ويعتبران مثلاً للزوجين المتحابين . هذه المعلومات

إما رأيها بأعيننا . أو سمعناها من الجيران ، ولهذا فوجئت بجوابه حين قال « ليس لي زوجة » فقلت :

– أقصد زوجتك الموقرة .

– ليس لدي لا زوجة موقرة ولا زوجة غير موقرة . أم أنك لم تسمع بما حصل بيننا ؟

– كلا لم أسمع بأي شيء .

– يا إلهي ، لم يبق أحد لم يسمع بما حدث ... لقد خانتني زوجتي التي تقول بأنها « موقرة » ... وفوق ذلك فقد خانتني مع رجل ذو شوارب وسخة .

صمت لأنني لم أعرف بماذا سأجيبه :

قال :

– إلى أين أنت ذاهب ؟

– لا أنوي الذهاب إلى مكان محدد ، رأيت الطقس جميلاً ، فقلت سأتمشى قليلاً ، وفي العودة سأخذ زئبقتين لقطتي من عند الحمام .

– وأنا أيضاً لا يوجد لدي أي عمل مهم ... هيا لتمشي وتحدث ، لا شك بأن الله أرسلك إليّ لأنني بحاجة لرجل أشكي له .
همومي .

ومشينا ...

قال :

لقد افترقنا ، خرجت من البيت وقريباً ستصبح قضيتنا في المحكمة من أجل إتمام معاملة الطلاق .

عندما كنا نمشي في الطريق ، كان يقف عند الكلام الذي يراه مهما . وكان يتحدث بشكل مستمر ، أحببت أن أسأله عن سبب الطلاق كي أشعر بأنني تكلمت معه ، فقال وكأنه يعرفني منذ زمن :

— إن توفيق أفندي كان السبب في كل ما حدث .

— أي توفيق أفندي ؟

— إنه توفيق أفندي أبو الشوارب إلا تعرفه ؟ توفيق أفندي أبو الشوارب !!!

— ومن يكون توفيق أفندي أبو الشوارب ؟ لم أعرفه .

— وكيف لا تعرفه ياروحي ؟! إنك تعرفه . . . تعرفه وهل يوجد شخص في هذا البلد لا يعرفه ؟

— أقسم بأنني لم أتذكره . . .

— أم أنه لا يدخل إلى بيتك ؟!!!

— من ؟

— ومن سيكون ؟! توفيق أفندي أبو الشوارب طبعاً .

لا شك بأن هذا الرجل بدأ يخرف .

فلقت له :

— لا ياسيدي وبأية صفة سيدخل إلى بيتي ؟ ولماذا سيدخل إلى بيتي ؟

– قال بكل برودة أعصاب :

– إنه يدخل .. يدخل ، لا يوجد بيت لم يدخل إليه ، إنه يدخل إلى كل البيوت .

ازداد إصراري أكثر ...

– إنه لا يدخل إلى بيتي ... ولماذا سيدخل رجل لا يعرفه إلى بيتي ؟!

فقال بسخرية :

– تقول بأن توفيق أفندي أبو الشوارب لا يدخلها ؟ يا لك من رجل ساذج فصرخت بصوت عالٍ :

– لا يمكن أن يدخل بيتي لا أبو شوارب ولا غيره ، ليس لأي توفيق أفندي أي عمل في بيتي .

– إنه يدخل .. يدخل .. هذا الرجل .. يدخل بإسدي ، كنت أعتقد كما تعتقد أنت وأقول أنه لا يدخل إلى بيتي حتى خانتني زوجتي .. فصرخت في وجهها « لن أسمح بعد اليوم لتوفيق أفندي أبو الشوارب أن يتخطى عتبة بيتي .. » ومع ذلك فقد كانت زوجتي تدخله سرا إلى بيتي .

– كانت تدخل من ؟

– ومن سيكون ياروحي ؟ كانت تدخل توفيق أفندي أبو الشوارب .

ما أعلمه هو أن زوجته شريفة جداً وتحب بيتها وزوجها كثيراً ولم تكن سيئة السمعة . ولم تكن امرأة لعباً . حينئذٍ خطرت على ذهني

فكرة وهي ان بعض النساء يعانين من حالة تكوص إلى سنين ماضية ،
فكم امرأة عاشت مراهقتها بعد الأربعين ، وكما يبدو وأن زوجته المسكينة
قد عانت نفس الحالة .

قال :

— إن زوجتك تدخل توفيق أفندي أبو الشوارب إلى بيتك ولكن في
الخفاء ودون أن تعلمك بذلك .

يا له من سافل ... إنه يشتمني بكل وقاحة ... حقيقة إن لابن
آدم أطواراً غريبة ، فعندما يصاب بمصيبة يتمنى أن يصاب بها كل
شخص ، ويتمنى أن تنشر هذه المصيبة على كل الناس كي لا يشتم
أحد به .

فقلت له بعصية :

— أرجوك يا سيد ...

ومع ذلك فقد اكون مخطئاً إذا ما قلت بأن الشك لم يملأ قلبي .

ما هذا الرجل المسمى توفيق أفندي أبو الشوارب ؟ أهو دنجوان

عصره؟! قال :

— حسناً ، لا تغضب ، إن كان توفيق أفندي لا يدخل إلى بيتك
كما تدعي فكيف تغسلون ملابسكم؟! إذا غاب توفيق أفندي فلن تغسل
الملابس . آه... كأنني فهمت... فلقد تخلت معظم البيوت عن الخاديات
وأصبحت تعتمد في أعمالها المنزلية على رجل يعمل على خدمتها. ويعني
كلامه أنهم قد أحضروا إلى بيتهم رجلاً يدعى توفيق أفندي أبو الشوارب
وهذا الرجل يقوم بأعمال الغسيل والجلي والطهي ، لا شك أنه شاب
جميل وسيم واثيق ، ومع ذلك فلا اعتقد أن المرأة قد عشقته ولكنها

الغيرة . فلا شك بأن هذا الرجل قد شاعر بالغيرة من توفيق أفندي
أبو الشوارب .

– هل توفيق أفندي أبو الشوارب شاب ؟

وبعد فترة من التفكير قال :

– إذا كان من مواليد ١٨٨٠ فكم يكون عمره ؟

– أربعة وثمانون . . . ماذا تقول ؟!

– لماذا دهشت ؟ هل هناك شيء يدعو للدهشة ؟ لقد علمت تاريخ
ولادته لأنني رأيت صورته في كل مكان . فقد كان مكتوباً في أسفل
الصورة . ولكني أنا المخطيء على كل حال ، يجب ألا أكون قد سمحت
له بالدخول الى بيتي ، فكل الرجال الذين تخونهم زوجاتهم يتصرفون
بنفس الطريقة المغفلة . سأروي لك القصة من بدايتها .

– قبل ثلاث أو أربع سنين ، وعندما كنت أنزل من الباخرة
أوقفني طفلٌ في الميناء وأعطاني ورقة اعلان بحجم الكف . . . كان مرسوماً
عليها صورة رجل . . . فلقد كانت صورة توفيق أفندي أبو الشوارب .

بهذه الطريقة تعرفت عليه لأول مرة . وعندما صعدت الى الباص
ونظرت الى الورقة وقرأت ما كان مكتوباً عليها : « إن توفيق أفندي
أبو الشوارب يقدم خدماته منذ مئة سنة لربات البيوت ، ماء توفيق
أفندي أبو الشوارب يجعل الفسيل ناصع البياض ولا يترك أي
أثر ، تشعر البيوت التي لا يدخلها توفيق أفندي أبو الشوارب بشيء ما
ينقصها . أيتها السيدات وانتم أيضاً استعملوا ماء توفيق أفندي أبو
الشوارب للفسيل » . كانت الورقة مليئة بكتابات كهذه نظرت الى صورة
الرجل ، كان يلبس عمامة على رأسه ، وقد أطل شاربيه ذوي الأطراف
الحادة المدببة على جانبي وجهه ، وكأذا أن يخرجنا من طرفي الورقة .

ضفطت على الورقة بأصابعي ورميته ، ونسيت توفيق أفندي أبو الشوارب . وفي المساء وعندما كنت أتناول طعام المساء كنت أسمع المذياع فسمعت إعلان توفيق أفندي أبو الشوارب من المذياع :

« لا يمكن لربة المنزل أن تنجز عملاً بلا توفيق أفندي أبو الشوارب ، سيدتي إن توفيق أفندي أبو الشوارب في خدمتك دوماً » . وفي الصباح كنا نتناول طعام الفطور حين دق الباب ، فتحت الخادمة واحضرت ورقة وقالت :

— أحد الرجال اعطاني هذه الورقة .

أخذت الورقة من يدها ونظرت إليها ومن جديد كان إعلان توفيق أفندي أبو الشوارب « البيت الذي لا تدخله الشمس يدخله الطبيب والبيت الذي يدخله توفيق أفندي أبو الشوارب لا يدخله الطبيب » . ومن جديد كانت صورة الرجل المعمم أبو الشوارب .

خرجت الى الشارع متوجهاً الى عملي ، فرايت صورة رجل بالالوان ملصقة في موقف الباص وكان حجم هذا الرجل أكبر من حجم الرجل العادي بثلاثة أو أربعة أضعاف ، يا إلهي ، إنني أعرف هذا الرجل ، ولكن من يكون ؟ هذا الرجل المعمم أبو الشوارب ليس غريباً عني ، اقتربت أكثر ، وقرأت الكتابة في أسفل الصورة « توفيق أفندي أبو الشوارب لكل بيت ، ماء توفيق أفندي أبو الشوارب للفسيل لا يترك أثراً ، توفيق أفندي أبو الشوارب ، ينظف ملابس الحرير الداخلية دون أن يجعدها » .

صعدت الى الباص ، فرايت إعلانات توفيق أفندي أبو الشوارب ملصقة على زجاج الباص « لا يوجد بلاد مثل بغداد ، ولا خيار مثل خيار شنغال كويو ، ولا حبايب مثل توفيق أفندي أبو الشوارب » ركبت الباخرة . . . الإعلانات ذاتها من جديد .

وعندما دخلت الى الدائرة ، قلت لانظر الى الصحيفة ، فرأيت صور هذا الرجل بشاربيه الحادين تملأ صفحات الإعلانات « المرأة التي تجرب توفيق أفندي أبو الشوارب مرّة تستعمله دوماً ، وأنتم أيضاً إذا جربتموه مرّة فلن تتخلوا عنه أبداً » .

مضت أيام بأكملها ، وكلما نظرت الى شيء أرى توفيق أفندي أبو الشوارب ، في البيوت ، في المدياع ، على الجدران ، في الترامواي ، في الباص ... لم يكن يفضني هذا الرجل في تلك الأيام ، لأنني اعتدت عليه لدرجة أني ظننته أحد أقاربي أو شيء من هذا القبيل .

في هذه الأثناء يا سيدي ، بدؤوا بوضع هدايا داخل عبوات توفيق أفندي أبو الشوارب وذلك كي تزداد مبيعاتهم ، فدخل توفيق أفندي الى كل بيت والى كل غرفة . فقد لصقوا على كل عبوة بطاقة وكلما جمعت عشرين بطاقة ترسلها إليهم فتشترك بالمسابقة ، ويوزعون للرابحين ، البيوت والسيارات والبرادات والفصالات وأشياء كثيرة ، هل تعلم ماذا فعلت أنا؟! قلت لزوجتي « وأنت يا حبيبتى جربي توفيق أفندي أبو الشوارب ، فربما نربح شيئاً ما » .

نعم أنا الذي جلبت هذه المصيبة الى نفسي . ولولا ذلك لما فكرت زوجتي بتوفيق أفندي ولا بشواربه .

قالت زوجتي « عندما تعود الى البيت في المساء ، أحضر معك عبوة ، فأنا لن أخرج هذا اليوم من البيت » .

فأحضرت هذا الرجل الى بيتي ، عندما كنت عائداً الى البيت في المساء مررت على البقالة التي في الزاوية . وقلت للبقال « أعطني توفيق أفندي أبو الشوارب » فسألني البقال « كم عبوة تريد ؟ » فقلت : « وكم عبوة سأخذ؟! واحدة طبعاً » فقال « يا سيدي ، لقد هجمت النساء على توفيق أفندي أبو الشوارب وكل واحدة تأخذ خمس أو ست

عبوات على الأقل، ولهذا سألتك كم عبوة تريد، ومن جهة أخرى لا يتوفر توفيق أفندي أبو الشوارب دائماً ، ... كما أن زوجتي معجبة جداً بتوفيق أفندي أبو الشوارب « فقلت : « إذا أعطني أربع عبوات » فقال: « لا يوجد سوى عبوتين » فأخذت العبوتين وذهبت الى البيت . ومن يومها يا سيدي ساءت أحوال بيتي وضرب نظامه ولم يبق له أية لذة ، أدخل الى الحمام ، فأجد صورة توفيق أفندي أبو الشوارب المرسومة على العبوات مصفوفة وموضوعة على حافة النافذة ، أدخل الى المطبخ فأجد عشر عبوات وأحياناً أجد عشرين صورة لأبو الشوارب هذا .

تمر الأيام وبمرورها تزداد صور توفيق أفندي أبو الشوارب في البيت قلت لزوجتي « ما هذا ؟ لو كنا نسكن في مفصل تابع لقطعة عسكرية لما احتجنا لكل هذا العدد الضخم من توفيق أفندي أبو الشوارب ، لماذا تشتريين كل هذا المقدار ؟ » فقالت « سنحتاج له في يوم ما ، كما أنني احتفظ بالبطاقات التي تكون ملصقة عليه » في السحب الأول أرسلت زوجتي عشرين بطاقة ولكنها لم تريح شيئاً ، مما زاد في شوقها للهدية أكثر فاشتريت عبوات جديدة كي تشتري في السحب الثاني، امتلأ الحمام والمرحاض والمطبخ وبعد ذلك هجم توفيق أفندي أبو الشوارب الى الصالون والغرف ، ولم يعد باستطاعتنا التجول في البيت من كثرة توفيق أفندي أبو الشوارب ، بدأ غضبي يزداد شيئاً فشيئاً ، لأن توفيق أفندي أبو الشوارب لم يترك لي مكاناً لأجلس فيه . عندما أمدت يدي الى طاولة الطعام .

— أو و . . . لقد أسقطت توفيق أفندي أبو الشوارب .

عندما أمدت يدي الى المكتبة لأتناول كتاباً ، تصرخ زوجتي :

— ۱۱۱۱ . . . لقد كسرت توفيق أفندي أبو الشوارب .

أنا لا أريد أن أمدح نفسي ، ومع ذلك فأنا أعتبر نفسي إنساناً أخلاقياً وذو تربية حسنة . في يوم من الأيام عدت الى البيت مرهقاً

وما أن جلست على الكرسي حتى شعرت بوخزة في مؤخرتي ، ونظرت الى الكرسي وإذ بتوفيق أفندي يجلس فوقها وقد دخلت فوهة العبوة في فخذي فنسيت وقتئذ التربية والأخلاق وصرخت :

– ولك ... لعن الله أبا شوارب توفيق أفندي أبو الشوارب .

ولكن كل ما أفعله كان يذهب سدى ... فكل يوم كان يدخل الى البيت عبوات جديدة من توفيق أفندي أبو الشوارب ، كنت أتوتر وأغضب كثيراً فقلت :

– يجب أن نسكن في بيت جديد لأن توفيق أفندي أبو الشوارب لم يترك لنا في هذا البيت مكاناً لنجلس فيه .

في إحدى الأمسيات جاءنا ضيوف الى البيت ، وما أن حرك أحد الضيوف الجالسين رجليه حتى أسقط توفيق أفندي أبو الشوارب على الأرض فخجل كثيراً قلت :

– أنا آسف جداً .

– فقال :

– ليس مهماً يا سيدي ، وبيتنا أيضاً مليء بمثل هذه العبوات ولكن ما فائدة كل هذا ؟

لقد سادت الفوضى في البيت بسبب توفيق أفندي أبو الشوارب .
صرخت في إحدى الأمسيات قائلاً :

– يا إلهي ... ما فائدة كل هذا العدد الضخم من توفيق أفندي أبو الشوارب ؟ !

فقلت أُمي :

— ١١١١٢ ... يا ولدي ، هذا الماء ليس للفسيل وحسب بل إنه
ينفع لكل شيء ، إني انظف أسناني بتوفيق أفندي أبو الشوارب .

كدت أجن ، فقلت لها :

— يا أُمي ، هل رأيت أحداً ينظف أسنانه بماء للفسيل ؟ !

— ١١١١٣ ... طبعاً ، إنه ينظفها بشكل رائع ولا يترك أي أثر .

— حسن ، ولكن كيف ينظفها ؟

— بسهولة بالغة ، أضع توفيق أفندي أبو الشوارب في كأس ماء ،
ثم أنزع أسناني وأضعها في الكأس وبعد نصف ساعة تصبح ناصعة
البياض .

يا إلهي إنها تقصد طقم أسنانها .

هل رأيت يا سيدي كيف يؤثر هذا الإعلان في الناس ، إنها تنظف
أسنانها بماء الفسيل ، ولو وقف تأثير هذا الإعلان عند هذا الحد لكان
كل شيء على ما يرام بل ذهبنا إلى أبعد من ذلك ، فنحن بتنا نستعمله
للفسيل والجلي وللخشب وللزجاج وكل شيء موجود في البيت يتغسل
بتوفيق أفندي أبو الشوارب ، وكلما اشتريت منه أكثر كلما زاد نصيبك
من الربح أكثر وأكثر أتى أخي وزوجته وولديه في الصيف إلى زيارتي ،
وفي يوم من الأيام . رأيت ولده الأكبر يدخل إلى البيت ويديه عويتين
من توفيق أفندي أبو الشوارب فصرخت متسائلاً :

— ما هذا ؟ !

فقال :

— اشتريتهما من نقودي يا عمي ، من مصروفي الخاص .

– ولك ، لماذا اشتريت هاتين المبتوتين ؟ ! هل ستفصل ثيابك بنفسك ؟!

– لا انا ... أنا سأخذ البطاقة منها وحسب ، كي اشترك في السحب القادم . انظر الى اثر الإعلان يا سيدي ، إنه يشتري العبوة ، يفرغ ما بداخلها في المراض ويأخذ البطاقة فقط .

في يوم أحدٍ حار جداً ، فتحت باب الثلاجة كي أشرب ماءً بارداً ، فوجدت ثلاث عبوات من توفيق أفندي أبو الشوارب ... لا انا ... لا يمكن أن أسمح بدخول هذا الرجل الى الثلاجة أيضاً ، فصرخت قائلاً:
– من وضع هذه العبوات في الثلاجة ؟ ! .

ولكن لم يأتي الجواب .

بعد هذه الحادثة بعدة أيام ، لم يحضر لنا بائع الماء ماءً للشرب ، ولم أجد في البيت قطرة ماءٍ واحدة ، لأن المياه كانت قد انقطعت ، كدت اشتغل من شدة حرارة الجو ومن قلة الماء ، ولكنني كنت أرى ابن أخي الأصغر بين الحين والآخر يدخل الى المطبخ ويخرج ، وكان كلما خرج يسمح فمه المبتل بالماء ، فتشوقت لمعرفة ما يفعله الطفل ، في إحدى المرات نظرت إليه من ثقب الباب وأمسكت به عندما وضع عبوة توفيق أفندي أبو الشوارب على فمه . فقلت له :

– ولك ، ماذا تفعل ؟ ! ستصاب بالتسمم ، استدعوا له الطبيب بسرعة كي ينظف معدته .

قال الطفل عندما رأى آثار الخوف على وجهنا :

– لن يحدث أي شيء ، ولم الخوف يا عمي فأنا أشرب منه باستمرار . وشرب النصف المتبقي في الزجاجاة . ولم يحدث له أي شيء .

قالت حماتي عندما رأيتني مضطرباً :

– ليشرب ... ليشرب ... إنه ينظف معدته .

كادت أجنن ، وضعت يدي على رأسي ورحت أعبث في شعري
وأبعثره في كل الاتجاهات من شدة غضبي .

فقالت حماتي بكل هدوء أعصاب :

— أنا اشرب منه عندما أصاب بإمساك ، إنه مفيد جداً ، وأنت
أيضاً اشرب منه قليلاً إنه يهدئ الأعصاب .

— ما هذا ؟ اهو مهدئ للأعصاب أم ماء للفسيل ؟!

— إنه ماء للفسيل ولكنه مفيد للشرب .

قالت زوجة أخي :

إن جارنا يفذي أطفاله على توفيق أفندي أبو الشوارب ،
يضعون توفيق أفندي في زجاجة الحليب ويطعمون أطفالهم منه ، فينام
الأطفال نوماً عميقاً . فقالت زوجتي :

— إنه مفيد للعيون أيضاً ، فأنا منذ سنتين أغسل عيني بتوفيق
أفندي أبو الشوارب .

— يا عزيزي إن هذه الاعلانات مدهشة ومخيفة أيضاً للغاية ،
حسب ما فهمته من هؤلاء الناس ، فإن الشركة تضع ماء صافي في العبوات
ويبيعونه للشعب على أنه ماء توفيق أفندي أبو الشوارب للفسيل . أنا
متأكد من أنهم يفعلون هذا ، ولكن كيف ستشرح لهؤلاء الناس ؟! لا يمكن
أن تفرقه عن ماء الشرب العادي الذي ينزل من الصنبور .

كان الابن الأكبر لأخي يلعب بالكرة في الشارع فجرحت ركبته ،
جاء راكضاً الى البيت ، وبينما كنت أبحث عن الأوكسجين واليود
والكحول جاءت أمه وسكبت ماء توفيق أفندي للفسيل على ركبته .

إنه توفيق أفندي أبو الشوارب ينفع لكل شيء . لأننا يا سيدي كي
نستفيد من البطاقة للاشتراك في السحب الدوري نجد الميرر الكافي
لاستعمال توفيق أفندي لكافة الاحتياجات .

أقسم بالله أنني مللت من البيت ، ولم أعد أرغب بالدخول إليه .
في إحدى الأمسيات صرخت بأعلى صوتي عندما كنت أجلس في المرحاض
قائلاً :

— ولك ، على الأقل ، امنعوا هذا الرجل من الدخول الى هنا ،
لا تضعوه هنا ، لا أريده أن يدخل الى المرحاض .

يا سيدي عذراً ، كيف يمكنك الجلوس في المرحاض وأمامك عدة
أشخاص مفتولي الشوارب ينظرون إليك . شيء معيب فعلاً ، لا تنسى
أن النساء أيضاً يدخلن الى المرحاض ، قالت زوجتي عندما سمعتني
أصرخ في المرحاض :

— لماذا تصرخ ؟ لقد وضعته امني في المرحاض .

— ولماذا وضعته أمك هناك ؟

لأن امني تتنظف وتتطهر باستعمال توفيق أفندي أبو الشوارب .

لقد فهمت يا سيدي أنه لا مكان لي في البيت ، فأنا إن كنت شخصاً
واحداً داخل البيت فإنه يوجد بالمقابل ألف توفيق أفندي أبو الشوارب،
أينما نظرت أرى تلك الشوارب الضخمة متجهة نحوي

في ليلة من ليالي الشتاء الباردة ، استلقيت في سريري ومددت
رجلي آ آ آ آ ... ما هذا؟! أحسست بشيء بين رجلي ، فسألت
زوجتي قائلاً :

— ما هذا؟!!

— إنه توفيق أفندي أبو الشوارب .

— لا آ آ آ ... لن أسمح لهذا الرجل بالنوم في سريري .

— الطقس بارد جداً ، ولهذا عبات زجاجات توفيق أفندي أبو
الشوارب بالماء الساخن كي أدفأ السرير .
قدفت الموات وصرخت :

— لا أريده هنا ...

لقد ساءت الأمور كثيراً ، ادخل الى سريري فأجد شوارب توفيق أفندي تنام بيني وبين زوجتي ، فكر قليلاً ، عذراً ، أمن المعقول أن تنام ثلاثة أشخاص في السرير أنا وزوجتي وتوفيق أفندي أبو الشوارب ، أمدئ يدي الى زوجتي فأجد شوارب توفيق أفندي مستلقية على صدرها . . ما هذا يا انا ؟ !!!

سأجن يا أخي ، لا بل جنت فعلاً ، وفي النهاية اعترضت على ما يجري قائلاً :

لن يدخل هذا الرجل أبو الشوارب إلى بيتي بعد الآن .

— من أبو الشوارب هذا ؟

— توفيق أفندي أبو الشوارب ، وليكن عندك علم بما سيحدث . . لن ادخل البيت الذي يدخله هذا الرجل .

لقد أثمر اعتراضي وسحبت عبوات توفيق أفندي من البيت ، لقد سحبت كل العبوات ومع ذلك ما زلت أرى شواربه تتجول في البيت .
في إحدى الليالي وعندما كنت نائماً صرخت بصوت عال :

— اسحب شواربك من هنا ولك . . . اسحب شواربك من هنا أيها القدر . . كان صراخي عالياً وحاداً لدرجة اني ايقظت اهل بيتي والجيران فسألوني بخوف :

— ماذا تقول ؟ اية شوارب ؟ !!

ولم اخرج صوتي لشدة خجلي .

أنظر الى المرأة عندما أحلق لحيتي فأجد على وجهي شوارب طويلة ، وكنت أقول بيني وبين نفسي « لم يعد يدخل الى البيت ، فلماذا

أراه دائماً ، لا شك أن أعصابي متوترة بعض الشيء ، سبتمبر هذه الحالة وتنتهي ولا شك » .

ربما كانت سبتمبر هذه الحالة لو أن زوجتي لم تحضر توفيق أفندي إلى البيت في الخفاء فقلت لزوجتي :

— انظري إليّ إما أنا أو توفيق أفندي أبو الشوارب .

— لا أستطيع أن أنجز عملاً بدون توفيق أفندي أبو الشوارب ، إنه ينفع لكل شيء .

— وأنا ، لا أنفع لشيء .

— إنك تنفع ، ولكنك لست مثل توفيق أفندي أبو الشوارب ، إنه ينفع لكل احتياجاتي ولكل أعمالي .

خرجت من البيت ولم أعد إليه بعد ذلك ، وقدمت زوجتي للمحاكمة من أجل إتمام إجراءات الطلاق . أرايت ؟ لا شك أن هذا الرجل يدخل إلى بيتكم أيضاً . لا يوجد بيت لم يدخله .

وصلنا إلى الجزائر ، دخلت أنا إلى المحل وذهب الرجل في حال سبيله . لقد حزننت لوضعه كثيراً .

صرّ اللحام الرثة التي اشتريتها للقطعة بورقة صحيفة ، وعندما خرجت نظرت إلى الورقة فوجدت صورة رجل بسط فوق شفته العليا شاربين مفتولي وحادين ، إنه توفيق أفندي أبو الشوارب : « لتلبية احتياجات ست البيت توفيق أفندي أبو الشوارب » .

إن هذا الإعلان مدهش ، مدهش للغاية ، لأن القسم الذي رميته سقط على الأرض ومع ذلك فقد كانت تلك الشوارب ظاهرة وواضحة تماماً ... الشوارب المفتولة ... تلعب باستمرار .

أهنا هو المشاكس الذي يسمونه حصاناً

« أيواه . . . أيواه . . . » هذا ما كان يردده عبدي الشركسي وهو يلطم خده . لم يعد باستطاعته العودة الى القرية ، حتى رؤية بيته وأسرته صار شيئاً مستحيلاً . « نفوه . . نفوه . . آه لقد انتهيت ، واية نهاية تميصة » جلس على صخرة الجرن الموجودة قرب النبع وراح يفكر بعمق .

« اعداؤنا . . . نعم اعداؤنا هم الذين اشاعوا بين الناس بأن الشراكس سراقوا الخيل ، علماً بأن هذا الكلام مجرد كذب وافتراء ، فالشراكس لا يسرقوا الخيل ، التوبة يا ربي . . . الشركسي لا يسرق الخيول ، ولكن ايسمح للآخرين بسرقة حصانه؟! . آخ يا رأسي . . . أي ابن عاهرة سرق حصاني . . . إنه ليس حصان عادي ، بل هو من سلالة الخيول العربية الاصلية . ليتني استطعت أن أفدي ، تلك البقع البيضاء التي تزين ظهره ، بنفسي . يا حصاني ذو اللون الاحمر المحروق . . . والساق التي يزينها البياض . سيقال لقد سرق حصان عبدي الشركسي ، ولك يا عبدي الجحش ايسمح قوم الشراكس لاحد بسرقة خيولهم ؟ يا عبدي المففل . . . لقد أسأت الى سمعة الشراكس ولطخت شرفهم في الوحل اي مصيبة وقعت على رأسي . . . آه . . . لقد اشاعوا بين الناس بأن الناس بأن الشراكس سراقوا خيول ، لتصاب امين الأعداء بالعماء ، ها انذا شركسي ومع هذا لم أستطع حتى حماية حصاني من السرقة » .

جلس عبدي الشركسي واضعاً رأسه بين راحتيه مسنداً مرفقيه على ركبتيه وكأنه يبكي ، وراح يفكر بالأم :

لدي رغبة عارمة بالانتحار ، ولكني لن اجرؤ على ذلك ، علماً أنه لا يوجد طريقة أفضل من الانتحار ، سأرمي نفسي من أعلى الصخرة الى الوادي ولتفتت جسدي الف قطعة ولتصبح كل قطعة الف أخرى .

سيقال بعد أن أموت : لقد طار هذا الشجاع كالريح وسقط في الوادي
إن العيش في هذه الدنيا حرام علي .

لا ... لن أستطيع النظر إلى وجه أي شخص في القرية أو في
البلدة ، سينظرون إلي ويقولون : هذا هو الشركسي الذي سرق منه
حصانه سيجعلونني تسليتهم وهم يشيرون إلي . لقد أصبحت محط
سخرية الأطفال وانتهى الأمر . دعك من كل هذا ، فهناك ما هو أسوأ
منه وهو أن زوجتي لن تسمح لي بتخطي عتبة هذا البيت عندما تسمع
بسرقه حصاني ... تفوووه ... لقد تطلخ شرفي بالوحد ... »

كان عبدي الشركسي يهتز يمنة وشمالاً في المكان الذي يجلس فيه
« الموت ليس حلاً ، ... هيا لنفرض أنني أزهقت نفسي ... ولك الـ
يرى أحد فرسي ، ذات الشعر الأحمر المحروق ، المسروقة ؟ سيقولون
هذه هي فرس عبدي الشركسي ، لا ... لا ، يجب ألا أموت ، فإنت ليس
حلاً ... » لقد قرر عبدي الشركسي الفارق في بحر أفكاره أن يعمل
شيئاً ليفسل العار الذي لحق به . يجب ألا يكون قد سمع أحد من
الناس بأن فرس أحد الشباب الشركاس قد سرق .

سمعت أصوات حوافر الخيل من بعيد ، جلس على صخرة الجرن
التي يشرب الحيوانات منها وأسند ظهره على الصخرة التي يصب ماء
النبع منها ، وتصنع النوم . اقتربت أصوات حوافر الخيل ... اقتربت
أكثر ، ظهر لفارس ... نظر عبدي الشركسي الذي تصنع النوم إلى
فوق ، فرأى حصاناً يشرب من الجرن ، ولكن هذا الحصان لم يعجبه
أبداً ... أنه لا يشبه الحصنة أبداً ، بل هو أشبه ما يكون بالحمار ،
فلو ذهب إلى القرية وقال لهم : لقد استبدلت فرسي بهذا ، سيضحك
الجميع عليه . إذا لا بد من الانتظار ، لا شك سيأتي نصيبه ، أسلم
نفسه للنوم ... حتى أنه تصرف وكأنه لم يسمع سلام الرجل الذي
حياه . ساق الفارس حصانه وذهب .

وبعد ذلك جاء اثنين أو ثلاثة فرسان ، أشربوا خيولهم ، ولكن
عبدي الشركسي ما زال يتصرف وكأنه نائم . ثم قال في سره : « يا

حظي ، ويا قسمتي ... » في هذه الأثناء سمع أصوات حوافر خيل ،
فانتصب عبدي الشركسي على رجليه مباشرة ، إن الحصان الأصيل
لا يخبيء نفسه من وقع حوافره . ولك يا أخي ... من يملك حصانا ،
يخرج هذه الأصوات من وقع حوافره على الأرض ، يستطيع أن يدعو
فتيات سبع قرى شركسية للدبكة ، يا لها من أصوات رائعة . انها
ليست أصوات حوافر خيل ، بل هي أصوات آلة موسيقية شركسية لم
ير مثيلها بعد وفو ذلك بدأ الحصان بالصهيل .

عندما نظر عبدي الشركسي من طرف عينيه الى الحصان ، بدأ وكان
قلبه يقفز بين أضلاعه . بدأ هذا الحصان الذي تقدم الى الجرن وهو
يحفر التراب بظرفيه الأماميتين ، أشبه ما يكون بفتيات الشراكس اللاتي
لا يستطعن الثبات في مكانهن .

تصرف عبدي الشركسي وكأنه استيقظ على صوت صهيل الحصان ،
وبدا ينظر إليه من مكانه ، حيثاه الرجل الراكب على الحصان كما فعل
بقية الفرسان :

— السلام عليكم .

فرك عبدي الشركسي عينيه بظاهر كفيه وكأنه لم يسمع سلام
الرجل ، ونظر إليه من الأسفل الى الأعلى بدهشة ، ثم قال له :

— يا إلهي .. امان يا ربي .. ما هذا ؟ ! كيف حدث شيء كهذا ؟
هل أرى حلماً ؟ ! ما هذا الذي أراه ؟ !

فقال الرجل :

— ماذا هناك ؟ ! لماذا دهشت ؟

قال عبدي الشركسي :

— أليس شيئاً مدهشاً ؟ ! . أية حكمة في هذا يا إلهي ؟ ! .
« يا قبضاي » أرجو ألا يكون سؤالك معيباً ... كيف ولدتك أمك مع
هذا الشيء الذي في الأسفل ؟ ! .

فقال الرجل مستغرباً :

— ماذا تقول أيا الرجل ؟ ما معنى هذا ؟ ألم تر حصاناً في حياتك ؟ ! .

— ماذا ؟ ! . حصان ؟ ! . يعني أن هذا هو الذي يسمونه حصاناً ليس كذلك ؟ ! . أهذا هو الحصان ؟ ! .

عبدى الشركسي يتلو الدعوات بغزارة والرجل يضحك لحماقته .

— يا بني ، ألم تر حصاناً مولوداً من أمه ؟ ! .

— يا إلهي ، كلاً لم أر .

— ولك إلا يوجد خيول في قرينك ؟ ! .

— خيول ؟ ! وماذا ستفعل في قريننا ؟ ... يوجد في قريننا عدد كبير من الحمير .

— ولك ، أيها المغفل ، ألم تخرج من قرينك ابداً ؟ ! .

— اليوم هو أول يوم أخرج فيه من قريني ، ... يا إلهي أهذا حصان ؟ ! .

— وماذا تظنه ؟ نعم إنه حصان ...

— الله الله ... إذا هذا هو المشاكس الذي يسمونه حصاناً ، ويشرب ماءً ليس كذلك ؟ ! .

— ألا تريده أن يشرب ماءً ؟ هل أنت أعمى ؟ طبعاً إنه يشرب كما ترى .

— نعم ، إنه يرغب الماء ... أه يا إلهي ، إنك على كل شيء .

— نعم ، إنه يرغب الماء ... أه يا إلهي ، إنك على كل شيء قدير ... يا قبضاي ، وماذا يفعل هذا الذي تسمونه حصاناً ؟

قال الرجل :

- إننا نركب عليه .
- نركب عليه ؟ ! .
- نعم نركب عليه ، ويعدو بسرعة البرق . يطير مثل العصفور ، إنه يوصلك إلى المكان الذي يستغرق خمسة ساعات مشياً على الأقدام خلال زمن أقل مما يستغرقه شرب سيكارة .
- يا الله ... لا تقل هذا ... يا إلهي ... الا يسقط الإنسان من فوقه ؟!

ترجّل الرجل وقال :

- تعال واركب لترى .
- يا إلهي ، لا أستطيع أن أركب .
- صار الرجل يضحك بجنون ، فقد وجد تسليّة له ، سركب هذا الاحمق على ظهر الحصان ، وكم سيتسلى ويسر ويضحك عندما يراه على قمة ظهر الحصان .
- تعال .. تعال ...
- لا ، لا .. أرجوك يا قبضاي ، لا أستطيع الصعود على ظهر هذا المارد .

- تعال ، جرّب قليلاً ، إنه سهل جداً .
- اقترب عبيدي الشركسي من الحصان .
- ضع رجليك على الركاب .
- ماذا قلت ؟ الركاب ؟ ! .

نعم ، يقال « رِكَاب » للمكان الذي ستضع رجلك عليه قبل أن تصعد .

— رِكَاب أليس كذلك ؟ يا سلا ا ا م . . . يقال لهذا رِكَاب أليس كذلك ؟

— نعم ، هكذا يقال له ، هيا . . . لاتخف . . . ضع قدمك . . .

— وإذا وقعت ؟

— يا أختي لاتخف ، إنني أمسكك جيداً . . .

وضع عبدي الشركسي رجله على الرِكَاب وسحبها :

— لا يا قبضاي ، أنا لا أملك القدرة على فعل أمور كهذه .

— ولك ضع رجلك ، وامسك هذا العِنان . . .

— هل قلت العِنان ؟ وما هو العِنان ؟

— انظر ، يقال لهذا عنان . . . اقفز على السرج . . .

— سرج أليس كذلك ؟!

— نعم سرج ، هيا اقفز .

— يجب أن أقفز هاااا ؟

— ولك اقفز هيا . . .

— أرجوك يا قبضاي امسكني جيداً . . . ادفعني من الخلف ،

يا إلهي ، إنها مثل المنارة . . .

جلس عبدي الشركسي فوق السرج ، كان يرجف من الخوف وهو يتوسل للرجل قائلاً :

— أقبّل يديك . . . لا تتركني يا قبضاي . . .

كاد الرجل الذي يمسكه من خصره أن يسقط مغمياً عليه من شدة الضحك ...

- أرجوك لا تتركني ... والآن ، ماذا سنفعل يا قبضي ؟

- اضرب برجليك على بطن الحصان .

- لا تفل هذا ..

- سينطلق ... اتركه انت ...

- يعني .. سينطلق ها ؟ ...

رفعت الفرس رأسها ، وصارت تصهل وهي تدق الأرض بطرفيها الأماميتان ، حينئذ صرخ عبدي الشركسي .

- يا سلاام ...

فصرخ الرجل قائلاً :

- لا تخف ولاااا ..

لقد وجدت الفرس فارسها ، فبسطت جناحيها وطار ،

أما الرجل الذي تدرج على الأرض من شدة الضحك ، فقد توسعت عيناه وتسمّر في مكانه وهو ينظر الى الفبار ، المتطاير من حوافر الفرس ، وهو يعانق السحاب .

